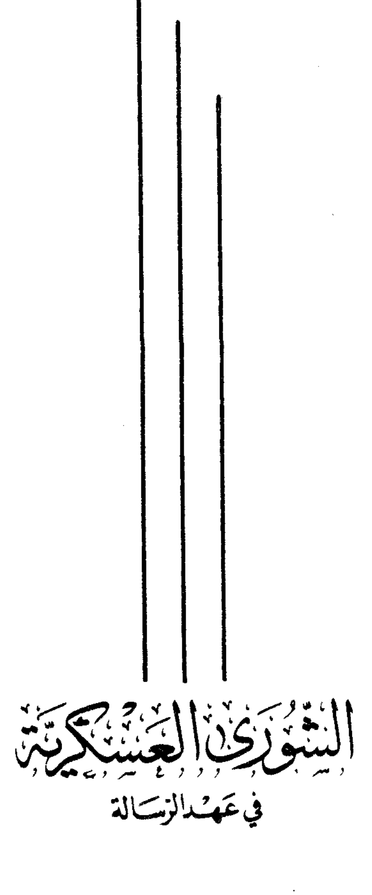
اللواء محمود شيت خطّاب

الشورى العسكرية

في عهد رسول الله


الشورى العسكرية
في عهد الرسالة



الشورى العسكرية

في عهد الرسالة

اللواء محمود شيت خطاب



دار القبلة للثقافة الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م



المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب: ١٠٩٣٢ - الرمز: ٢١٤٤٣ - ت: ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس: ٦٦٥٩٤٧٦

مؤسسة علوم القرآن

دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب: ٤٦٢٠ - ت: ٢٢٤٩٩٠ - بيروت - ص.ب: ١١٣/٥٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الشورى العسكرية في عهد الرسالة

الشورى لغة واصطلاحاً:

إن مادة «شار» ومشتقاتها كثيرة في المعجمات اللغوية. والملاحظ أن معاني هذه المادة اللغوية تدور كلها تقريبا حول الاستخراج والاظهار[١] والاستصفاء مادياً ومعنوياً بما فيها التفكير الصائب والرأي السديد.

والشورى هي استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض[٢]. والشورى هي الاجتماع على الأمر، ليستشير كل واحد منهم صاحبه، ويستخرج ما عنده[٣]. ويرد على هذا التعريف، أنه لا يستقيم في علم المنطق، لأن كلمة: (ليستشير) واردة في تعريف (الشورى)، مع أن المقصود من التعريف تفهيم المعرف، فإذا كان كل منهما يتوقف فهمه على الآخر، فهذا يعني توقف الشيء على نفسه، وهو الدور الباطل[٤].

وفي تعريف ثالث، أن الشورى، هي المفاوضة في الكلام، ليظهر الحق[٥].

---

(١) «الشورى بين النظرية والتطبيق» (١٣).

(٢) «روح المعاني» (٤٢/٢٥).

(٣) «أحكام القرآن لابن العربي» (٢٩٧/١).

(٤) «الشوري بين النظرية والتطبيق» (١٤).

(٥) «تفسير الطبري» (٣٣/٩).

وهذه التعاريف الثلاثة، تبرز معنى واحدا، هو استخراج الصواب، بعد التعرف على آراء الآخرين وامعان الفكر فيها.

ومعنى ذلك، أن الشورى، هي عرض المعضلة أو المعضلات في أمور الدنيا والدين، على الذين عُرفوا بالتجربة العملية والرأي السديد، وسماع الآراء المختلفة، واستخلاص الحل المناسب لتلك المعضلة أو المعضلات من تلك الآراء المعروضة، والقرار على تنفيذ الحل المناسب.

وفي المصطلحات القانونية المحدثة، اعتمدت كلمة «المستشار»: العالم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام علمي، أو فني، أو سياسي، أو قضائي، أو نحوه[6].

وفي المصطلحات العسكرية المعتمدة كلمة «المشير» وهي أعلى رتبة عسكرية للضباط في الجيوش العربية[7].

وما دمنا بصدد الشورى العسكرية بخاصة، فلا بد من تعريفها بأنها عرض المعضلة العسكرية - ان وجدت - قبل نشوب القتال، وبعد نشوبه، وبعد توقف القتال بصورة وقتية أو بشكل دائمي، على المعروفين بتجربتهم وعلمهم ورجاحة عقولهم ونضجهم، وسماع آراء هؤلاء، واستخلاص الحل المناسب لتلك المعضلة من تلك الآراء المعروضة، والقرار على وضع الحل المناسب في حيز التنفيذ.

---

(٦) «المعجم الوسيط» (٤٩٩/١).

(٧) «المعجم العسكري الموحد» (عربي انجليزي) ص (٥١٢) و «المعجم العسكري الموحد» (عربي انجليزي) ص (٧١٧). والمشير: Marshal, Field marshal.

تطبيقات الشّورى العسكرية في عهد الرسالة

١. في غزوة بدر الكبرى[٨]:

أ. في مسير الاقتراب[٩]:

خرج النبي ﷺ من المدينة المنورة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية[١٠] على رأس أصحابه قاصداً موقع (بدر)، حتى إذا كان دون بدر، أتاه الخبر بمسير قريش، ليمنعوا قافلتهم التجارية القادمة من الشام إلى مكة، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش. وقام أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال وأحسن. ثم قام المقداد بن عمرو[١١] فقال: «يا

---

(٨) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، وبين بدر والمدينة سبعة برد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨٨-٨٩) وجرى في موقع بدر غزوة حاسمة بين المسلمين من جهة ومشركي قريش من جهة ثانية، انتصر المسلمون فيها على المشركين انتصاراً حاسماً، وكانت الغزوة يوم الجمعة في اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية الهجرية، انظر جوامع السيرة لابن حزم (١١٣) والدرر لابن عبد البر (١١٤).

(٩) مسير الاقتراب: مسير القوات المقاتلة من قاعدتها إلى موقع القتال، وكان مسير الاقتراب من المدينة المنورة إلى بدر.

(١٠) الدرر (١١٠) وجوامع السيرة (١٠٧).

(١١) المقداد بن عمرو: المعروف بالمقداد بن الأسود، وهذا الأسود الذي ينسب إليه هو: الأسود بن عبد يغوث الزهري القرشي، وإنما نسب إليه لأن المقداد حالفه فتبناه الأسود فنسب إليه. وقال أيضاً: المقداد الكندي، وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً =

رسول الله أمض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[١٢] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سِرت بنا إلى (بَرك الغماد)[١٣] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليّ أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عَدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقَبة[١٤] قالوا:

= في بهراء فهرب منها إلى كندة فحالفهم، ثم أصاب فيهم دماً فهرب إلى مكة، فحالف الأسود بن عبد يغوث. وقيل: هو حضرمي، وحالف أبوه كندة فنسب إليها، وحالف هو الأسود بن عبد يغوث فنسب إليه، والصحيح إنه بهراوي. وكنيته: أبو معبد وهو قديم الاسلام من السابقين، وكان من أول من أظهر الإسلام بمكة. هاجر إلى أرض الحبشة، ثم عاد إلى مكة، فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة لما هاجر إليها النبي ﷺ، فبقي إلى أن بعث النبي ﷺ عبيدة بن الحارث في سرية. فلقوا جمعاً من المشركين، وكان المقداد وعتبة بن غزوان قد خرجا مع المشركين ليتوصلا إلى المسلمين، فتواقفت الطائفتان ولم يكن قتال. فانحاز المقداد وعتبة إلى المسلمين، شهد بدراً وله فيها مقام مشهود في الشورى والقتال، وشهد المقداد غزوة بدر الكبرى فارساً. وشهد أُحداً أيضاً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومناقبه كثيرة. وشهد فتح مصر على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وروى عن النبي ﷺ اثنين وأربعين حديثاً وروى عنه من الصحابة علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما، توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ومات بأرض له بالجرف في ضواحي المدينة وحمل إلى المدينة، وأوصى إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه، وكان عمره سبعين سنة، وكان رجلاً ضخماً، انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (٣/١٦١-١٦٣) وأسد الغابة (٤/٢٠٩ - ٤١١) والاستيعاب (٤/١٤٨٠ - ١٤٨٢) والاصابة (٦/١٣٣ - ١٣٤) وأسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة (٢٨٠).

(١٢) سورة المائدة، آية ٢٤.

(١٣) برك الغماد: موضع على ثمان ليال من مكة إلى اليمن، انظر مغازي الواقدي (١/٤٨)، وهو موضع في اليمن، ويقال: هو أقصى حجر. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٤٩).

(١٤) العقبة: جبل بين منى ومكة، وبين العقبة ومكة نحو ميلين، ومنها ترمى جمرة العقبة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٩١).

«يا رسول الله! إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا»، فكان رسول الله ﷺ يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا من دهمه[15]، بالمدينة من عدوّه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ في بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ[16]: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله!» قال: «أجلْ» قال: «فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السّمع والطّاعة، فأمضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعْرَضت بنا هذا البحر فخُضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا

---

(١٥) دهمه: أي فجأه، يقال: دهمتهم الخيل، إذا فاجأتهم على غير استعداد.

(١٦) سعد بن معاذ الأنصاري الأوسي: من بني الأشهل، سيد الأوس، كنيته أبو عمرو، أسلم بين العقبة الأولى والثانية بالمدينة على يدي مصعب بن عمير. ولما أسلم خرج حتى أتى دار بني عبد الأشهل فقال لهم: «إن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام، حتى تؤمنوا بالله وحده، وتشهدوا ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، فما أمسى من ذلك اليوم في دار بني الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً، فكان من أعظم الناس بركة في الاسلام. ولما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة كان سعد بن معاذ من أكثر الأنصار عوناً للمسلمين ومعاونة لهم، شهد بدراً وأُحداً والخندق، وكان له موقف مشهور في بدر في المشورة وفي القتال، كما أبلى بلاء حسناً في الغزوات الأخرى، وفي غزوة الخندق رُمي فقطع أكحله بسهم من سهام المشركين، فأخلاه النبي ﷺ إلى خيمة التمريض في المسجد، وكان عليه الصلاة والسلام يعوده. وفي غزوة بني قريظة نزلت يهود على حكمه، وكانوا قد خانوا الله ورسوله واتفقوا مع الأحزاب على المسلمين، فكان حكم سعد في حلفائه بني قريظة، أن تقتل رجالهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم، ثم نزف جرحه فمات سنة خمس الهجرية، فشيع إلى مثواه الأخير تشييعاً حافلاً شارك فيه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وحزن المسلمون عليه حزنا عظيماً، انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣/٤٢٠-٤٣٦) وأسد الغابة (٢/٢٩٦ - ٢٩٩) والاستيعاب (٢/٦٠٢-٦٠٥) والإصابة (٣/٨٧-٨٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢١٤-٢١٥) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (٢٠٥ - ٢١١) والبداية والنهاية (٤/١٢٦ - ١٣٠).

غداً، إنا لصبرُ في الحرب صُدق[١٧] في اللقاء لعل الله يريك ما تَقرّ به عينُك، فسر بنا على بركة الله» فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطَهُ ذلك، ثم قال: «**سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين**[١٨]، **والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**»[١٩].

وكان لهذه الشورى العسكرية أثرها العظيم في ابراز إرادة القتال في المسلمين، واستعدادهم للجهاد بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد، كما رفعت معنويات المسلمين بعد انكشاف نياتهم، ولم يبق لدى المهاجرين شك في نيات الأنصار، فازداد التلاحم بين المهاجرين والأنصار ارتباطاً ورسوخاً في الحرب، كما كان قد ازداد بعد الهجرة ارتباطاً ورسوخاً في السّلام.

ب. قُبيل نشوب القتال:

أولا: سبق رسول الله ﷺ قُريشاً إلى ماء بدر، فنزل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، ثم قال لأصحابه: «**أشيروا عليّ في المنزل**»[٢٠]، فقال الحباب بن المُنذر بن الجموح[٢١]: «يا رسول الله!

---

(١٧) صبر: جمع صبور. وصدق: جمع صدق، وهو الثابت عند اللقاء.

(١٨) إحدى الطائفتين: يريد العير أي قافلة قريش التجارية، أو النفير أي قوة قريش التي خرجت لقتال المسلمين.

(١٩) سيرة ابن هشام (٢٥٣ - ٢٥٤) وطبقات ابن سعد (١٤/٢) ومغازي الواقدي (٤٨/١ - ٤٩) والاستبصار (٢٠٨ - ٢٠٩) والطبري (٤٣٤/٢ - ٤٣٥) وابن الأثير (١٢٠/٢) وانظر جوامع السيرة (١٠٩) والدرر (١١١).

(٢٠) مغازي الواقدي (٥٣/١)، وقد انفرد الواقدي بأن النبي ﷺ استشار أصحابه بالمنزل، أما سائر المصادر، فتذكر أن الحباب هو الذي بادر باسداء المشورة.

(٢١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي السلمي، كنيته أبو عمر، وقيل أبو عمرو، شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين. وكان صاحب المشورة التي ذكرناها، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يقال له: ذو الرأي، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر سيرته المفصلة في: طبقات ابن سعد (٣٦٥/٣ - ٣٦٨) وأسد الغابة (٣٦٤/١ - ٣٦٥) والاستيعاب (٣١٦/١) والإصابة (٣١٦/١ - ٣١٧) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (١٠٧ - ١٥٨).

أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟» قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**» قال: «يا رسول الله! فان هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نعوّر[٢٢] ما وراءه من القَلب[٢٣] ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون» فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**»، فنهض رسول الله ﷺ، حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فعورت وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[٢٤].

وسواء استشار النبي ﷺ أصحابه بصلاحية المنزل الذي استقر فيه المسلمون في بدر فأبدى الحباب رأيه في ضرورة تبديل المنزل إلى منزل مناسب آخر، أم أن الحبّاب بادر فإن النبي ﷺ أخذ بتلك المشورة، ونفّذ مضمونها وأثنى على صاحبها. وما حلّ نصف الليل حتى تحوّل المسلمون إلى معسكرهم الجديد، وامتلكوا مواقع الماء، وأعلن الرسول القائد عليه السلام لأصحابه: أنه بشر مثلهم، وأن الأمر شورى بينهم، وأنه لا يقطع برأي دونهم: وأنه بحاجة إلى حسن مشورة صاحب المشورة منهم[٢٥] وكان لنقص الماء عند المشركين يوم القتال أثر كبير في انتصارهم[٢٦].

---

(٢٢) نعور: تروى هذه الكلمة بالعين المهملة، ومعناها على ذلك: نفسد، وذلك بأن يقذفوا بالقلب أحجاراً وتراباً فيفسدوها على أعدائهم. وتروى بالغين المعجمة، ومعناها حينئذ: نجعلها تغور بالأرض، وهو قريب من سابقه.

(٢٣) القلب: جمع قليب، وهي البئر يذكر ويؤنث. وسميت قليباً: لأن ترابها قلبت، انظر لسان العرب (١٨٢/٢ - ١٨٣).

(٢٤) سيرة ابن هشام (٢٥٩/٢ - ٢٦٠) وطبقات ابن سعد (١٥/٢) ومغازي الواقدي (٥٣/١-٥٤) وتفسير ابن كثير (٤٣٠/١) وتفسير المنار (٢٠٠/٤) وابن الأثير (١٢٢/٢) وجوامع السيرة (١١٢) والدرر (١١٢).

(٢٥) الرسول القائد - ط ٥ (١٠٧).

(٢٦) الرسول القائد (١٢٤).

ثانياً: ثم إن سعد بن معاذ رضي الله عنه، قال: «يا نبي الله! ألا نبني لك عريشا[٢٧] تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، ثم فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبّاً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم: يناصحونك، ويجاهدون معك» فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه[٢٨].

وقد بُني العريش من جريد، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوحشاً السيف، ودخله النبي ﷺ، وأبو بكر الصديق[٢٩]. وهكذا أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام برأي سعد بن معاذ في بناء العريش، وهو مقر قيادة المعركة، وكان للمقر حراسة، مما سهل السيطرة على القتال[٣٠] ومن المعلوم، أن اختيار المقر التعبوي الأمين المشرف على ساحة المعركة، يؤدي إلى السيطرة على سير القتال بيسر وكفاية، وهو عامل من عوامل إحراز النصر.

جـ. بعد المعركة:

استشار النبي ﷺ أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في أسرى بدر، فاختلف رأيهما، فقال لهما: «**لو اجتمعتما ما**

---

(٢٧) العريش: ما يستظل به، وهو خيمة من خشب وثمام، وهو المراد هنا انظر ترتيب القاموس المحيط (١٦٦/٣).

(٢٨) سيرة ابن هشام (٢٦٠/٢) والطبري (٤٤٠/٢ - ٤٤١) وابن الأثير (١٢٢/٢).

(٢٩) طبقات ابن سعد (١٥/٢) ومغازي الواقدي (٥٥/١).

(٣٠) الرسول القائد (١١٥)، وجاء في (١٢٢): كما طبق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لأول مرة شروط انتخاب المقر الملائم وأمن حراسته. وانظر ما جاء في الرسول القائد (١١٥) عن الشورى العسكرية.

عصيتكما» وكان رأيه موافقاً لرأي أبي بكر، فأنفذه[٣١].

وكان أبو بكر يليّن النبي ﷺ ويفثؤه[٣٢] ويقول: «يا رسول الله بأبي أنت وأمي! قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العم، وأبعدهم منك قريب، فأمنن عليهم مَنَّ الله عليك، أو فادهم يستفدهم الله بك من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوّة للمسلمين، فلعل الله يُقبل بقلوبهم إليك!» ثم قام أبو بكر فتنحى ناحية، وسكت رسول الله ﷺ فلم يجُبه، ثم جاء عمر بن الخطاب فجلس مجلس أبي بكر، فقال: «يا رسول الله! هم أعداء الله، كذبوك وقاتلوك وأخرجوك! اضرب رقابهم، هم رؤوس الكفر وائمة الضلالة، يوطىء الله عز وجل بهم الاسلام، ويُذل بهم أهل الشّرك»، فسكت رسول الله ﷺ فلم يجُبه. وعاد أبو بكر إلى مقعده الأول فقال: «يا رسول الله بأبي أنت وأمي! قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العم، وأبعدهم منك قريب، فامنن عليهم أو فادهم هم عترتك[٣٣] وقومك، لا تكن أول من يستأصلهم، يهديهم الله خيراً من أن تهلكهم» فسكت رسول الله ﷺ، ولم يرد عليه شيئاً فتنحى أبو بكر ناحية. وقام عمر بن الخطاب فجلس مجلسه وقال: «يا رسول الله! ما تنظر بهم! اضرب أعناقهم يوطىء الله بهم الإسلام ويُذل أهل الشرك، هم أعداء الله، كذبوك وقاتلوك وأخرجوك! يا رسول الله! اشف صدور المؤمنين، لو قدروا على مثل هذا منّا ما أقالونا أبداً» فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه. وأعاد أبو بكر محاولته لانقاذ الأسرى، كما أعاد عمر محاولته لقتل الأسرى، فقام

---

(٣١) تفسير ابن كثير (٤٢٠/١) وسنن البيهقي (١٠٩/١٠) والمستدرك للحاكم النيسابوري (٢١/٣ - ٢٢) وتلخيص المستدرك للذهبي (٢١/٣ - ٢٢) والمسند للامام أحمد بن حنبل (٢٦٣٢/٥-٢٦٣٣) والترمذي (٣٢٠/١).

(٣٢) فثأت الرجل: إذ سكنت غضبه، انظر الصحاح (٦٢).

(٣٣) عترة الرجل: أخص أقاربه، انظر النهاية (٦٥/٣).

رسول الله ﷺ فدخل قبته فمكث فيها ساعة، ثم خرج والناس يخوضون في شأنهم وقبل رسول الله منهم الفداء[٣٤]! وقال يومئذ لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب: «**لو اجتمعتما ما عصيتكما**» وكان رأيه موافقا لرأي أبي بكر، فانفذه.

د. ما ليس في المصادر:

ذكرنا ما ورد في المصادر المعتمدة عن التطبيق العملي للشورى العسكرية في غزوة بدر الكبرى، ولم يرد شيء في تلك المصادر عن التطبيق العملي للشورى العسكرية في صفحة نشوب القتال، وهي من أهم صفحات القتال إن لم تكن أهمها على الاطلاق.

ولكن ورد في بعض المصادر، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كان مع النبي ﷺ في العريش، وهو المقر التعبوي لمعركة بدر الحاسمة، قبل نشوب القتال وبعد نشوب القتال، حتى انتهت تلك المعركة بانتصار المسلمين الحاسم على المشركين. ومن المعلوم أن أبا بكر كان صاحب رأي رسول الله ﷺ ووزيره ومستشاره وساعده الأيمن، وهو من هو ذكاء وعقلاً وأمانة وإخلاصاً ورأياً سديداً.

كما كان سعد بن مُعاذ إلى جانب رسول الله ﷺ، وهو من هو عقلا وأمانة وإخلاصاً ورأياً سديداً، وقد كان موضع استشارة النبي ﷺ.

---

(٣٤) انظر التفاصيل في: مغازي الواقدي (١/١٠٧ - ١١٠) وفيه، كان سعد بن معاذ يقول: «اقتل ولا تأخذ الفداء». انظر (١/١١٠)، وكان الأسرى قد وزعهم الرسول ﷺ على صحابته قائلاً: «**استوصوا بالأسارى خيراً**»، ثم فادى اغنياء الأسرى بالمال، فكان الواحد منهم يدفع ما بين الألف درهم إلى أربعة آلاف درهم.

أما فقراء الأسرى، فأطلق سراح قسم منهم دون مقابل، كما كان فداء المتعلمين من الأسرى تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة. انظر: الرسول القائد (١٢٥ - ١٢٦).

إن وجود أبي بكر الصديق وسعد بن معاذ إلى جانب النبي ﷺ في العريش في صفحة نشوب القتال يوم بدر، وحرص النبي ﷺ على الاستشارة في كل أموره ومنها العسكرية، يؤشر بوضوح أن صفحة نشوب القتال في بدر، كانت هي الأخرى حافلة بالاستشارات العسكرية، على الرغم من سكوت المصادر المعتمدة عن بحث نوعية تلك الاستشارة والآراء التي عرضت في تلك الساعات الحاسمة من تاريخ الإسلام والمسلمين.

٢. في غزوة أُحد[٣٥]:

كانت غزوة أُحد يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال من السنة الثالثة الهجرية[٣٦].

ولما علم النبي ﷺ بخروج قريش لحرب المسلمين ووصولهم إلى مشارف المدينة المنورة، قال النبي ﷺ يوم الجمعة السادس من شوال سنة ثلاث الهجرية قبل صلاة الجمعة: «أشيروا عليّ».

وقام عبد الله بن أبي سلول[٣٧] فقال: «يا رسول الله! كنّا نقاتل في

---

(٣٥) أحد: جبل شمالي المدينة المنورة، بينه وبينها قرابة ميل واحد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣٣/١). وانظر ما جاء عن هذه الغزوة في: مغازي الواقدي (١٩٩/١) وسيرة ابن هشام (٣/٣) وطبقات ابن سعد (١٥٦/٢) والطبري (٤٩٩/٢) وابن الأثير (١٤٨/٢) والبداية والنهاية (٩/٤) وأنساب الأشراف (١٤٨/١) وابن سيد الناس (٢/٢) وزاد المعاد (٢٣١/٢) والامتاع (١١٤) والمواهب (١١٩/١) وتاريخ الخميس (٤١٩/١) وصحيح البخاري (٩٣/٥) وجوامع السيرة (١٥٦) والدرر (١٥٣).

(٣٦) طبقات ابن سعد (١٥٦/٢).

(٣٧) عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي: كنيته: أبو عبد الله من بني الحبلى الخزرج، رئيس المنافقين، وهو الذي قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل»، قال ابنه عبد الله لرسول الله ﷺ: «هو الذليل وأنت العزيز»، واستأذن النبي ﷺ ليقتل أباه، فأمره أن يبر أباه ويحسن صحبته، توفي على عهد النبي ﷺ انظر الاستبصار (١٨٤ - ١٨٥) وجمهرة أنساب العرب (٣٥٤ - ٣٥٥).

الجاهلية فيها (يريد المدينة) ونجعل الذراري والنساء في هذه الصياصي[٣٨] ونجعل معهم الحجارة. والله، لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة إعداداً لعدونا، ونشبك المدينة بالبنيان. فتكون كالحصن من كل ناحية، وترمي المرأة والصّبي من فوق الصياصي والآطام[٣٩] ونقاتل بأسيافنا في السكك. يا رسول الله! إن مدينتنا عذراء ما فضّت علينا قط، وما خرجنا إلى عدوّ قط إلا أصاب منّا، وما دخل قط إلاّ أصبناه، فدعهم يا رسول الله، فانهم إن أقاموا بشّر محبس، وأن رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين، لم ينالوا خيراً. يا رسول الله! أطعني في هذا الأمر، واعلم أني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم، فهم كانوا أهل الحرب والتجربة» وكان رأي رسول الله ﷺ مع رأي ابن أبي، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «**امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فان دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقة، فنحن أعلم بها منهم، وارموا من فوق الصياصي والآطام**».

وقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً، وطلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوهم، ورغبوا في الشهادة وأحبوا لقاء العدو: «اخرج بنا إلى عدونا».

وقال رجال من أهل السّن وأهل النية[٤٠] من المهاجرين والأنصار «إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا جُبناً عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل،

---

(٣٨) الصياصي: جمع الصيصة، وهي الحصن.
(٣٩) الآطام: جمع الأطم، والأطم: الحصن، والبيت المرتفع.
(٤٠) في مغازي الواقدي (١/ ٢١٠): منهم حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن عبادة، والنعمان ابن مالك بن ثعلبة، في غيرهم من الأوس والخزرج.

فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير. قد كنّا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا»، ورسول الله ﷺ لما يرى من الحاحهم كاره، وقد لبسوا السّلاح يخطرون بسيوفهم يتسامون[٤١] كأنهم الفحول.

وقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري[٤٢]: «يا رسول الله! نحن والله بين إحدى الحسنيين، إما يُظفرنا الله بهم، فهذا الذي نُريد، فيذلهم الله لنا، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر، فلا يبقى منهم إلا الشريد. والأخرى يا رسول الله، يرزقنا الله الشهادة. والله يا رسول الله، ما أبالي أيتهما كان، إن كلاً لفيه الخير» فسكت النبي ﷺ.

وقال حمزة بن عبد المطلب[٤٣] رضي الله عنه «والذي أنزل عليك

---

(٤١) يتسامون: يتبارون، انظر القاموس المحيط (٤/٣٤٤).

(٤٢) مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي: من بني خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، وهو أبو أبي سعيد الخدري، استشهد يوم أحد، قتله عراب بن سفيان الكناني، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٤/٢٨١) والاصابة (٦/٢) والاستيعاب (٤/١٣٥٢) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (١٢٨)، وانظر أنساب الأشراف (١/٣٢١ و ٣٣٠) وسيرة ابن هشام (٣/٧٩).

(٤٣) حمزة بن عبد المطلب: أمة هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ابنة عم آمنة بنت وهب أمّ النبي ﷺ، وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أمّ الزبير بن العوّام، وهو عمّ رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين، وهو سيد الشهداء. وكان سبب إسلام حمزة، أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه رسول الله ﷺ. فلما علم بما حدث غضب حمزة وقصد أبا جهل وضربه ضربة شج بها رأسه، ثم أعلن لقريش إسلامه، فعز الإسلام باسلامه. هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأبلى فيها بلاء عظيماً، وقتل شيبة بن ربيعة أحد زعماء قريش البارزين وشارك في قتل عتبة بن ربيعة. كان من قادة النبي ﷺ. شهد غزوة أحد، وقتل بها يوم السبت السابع من شوال سنة ثلاث الهجرية، وكان قتل من المشركين قبل أن يقتل أحداً وثلاثين رجلاً، وكان يقاتل يومئذ بسيفين. وبينما كان يقاتل يوم أُحد، عثر عثرة وقع منها على ظهره، فانكشف الدرع عن بطنه، فزرقه وحشي الحبشي مولى جبير بن =

الكتاب، لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة ».

وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بني سالم[44]: « إنه سيكون قتلى من أصحابك، وأنا منهم، فلم تحرمنا الجنة؟ فوالذي لا إله إلا هو لأدخلنها » قال رسول الله ﷺ: « بمَ؟ » قال: « إني أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف »، فقال رسول الله ﷺ: « **صدَقت** »، فاستشهد يومئذٍ.

= مطعم بحربة فقتله. مثل به المشركون وبجميع قتلى أُحد، وجعل نساء المشركين: هند بنت عتبة وصواحبها يجدعن أنوف المسلمين وآذانهم ويبقرون بطونهم، وبقرت هند بطن حمزة فأخرجت كبده، فجعلت تلوكها فلم تسغها، فلفظتها. ولما شهده النبي ﷺ اشتد وجده عليه، ووقف النبي ﷺ على حمزة، وقد مثل به، فلم يرَ منظراً كان أوجع لقلبه منه، فقال: « **رحمك الله أي عمّ، فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات** ». وروى جابر بن عبد الله قال: « لما رأى رسول الله ﷺ حمزة قتيلاً، بكى. فلما رأى ما مثل به شهق وقال: لولا أن تجد صفية لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع، وكان عمر حمزة يوم قتل سبعاً وخمسين سنة. وصلى النبي ﷺ على حمزة، فكبر سبع تكبيرات، ثم لم يؤت بقتيل إلا صلى عليه معه، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة، وكان حمزة أول شهيد صلى عليه رسول الله ﷺ، ودفن حمزة مع ابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد، وكفن في نمرة، فكانت إذا تركت على رأسه بدت رجلاه، وإذا غطى بها رجلاه بدا رأسه، فجعلت على رأسه، وجعل على رجليه شيء من الأذخر، وقد رثاه كثير من شعراء النبي ﷺ، انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (٣/٨-١٩) وأسد الغابة (٢/٤٦-٥٠) والإصابة (٢/٣٧-٣٨) والاستيعاب (١/٣٦٩-٣٧٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/١٦٨ - ١٦٩) وسيرة ابن هشام (٣/٤١-٥٠) والبداية والنهاية (٤/١٧-٢٢) وأنساب الأشراف (١/٣٢٢) وجمهرة أنساب العرب (١٧) ومغازي الواقدي (١/٣٠٩-٣١١)، وانظر تفاصيل سيرته في كتابنا: قادة النبي ﷺ.

(٤٤) النعمان بن مالك بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي: وثعلبة بن دعد هو الذي يسمى: قوقل، وكان قوقل له عز. وكان يقول للخائف إذا جاءه: « قوقل حيث شئت فانك آمن، فسمي بنو غنم وبنو سالم كلهم قواقلة، وكذلك هم في الديوان يدعون بني قوقل. شهد النعمان بدراً واحداً وقتل يومئذ شهيداً، قتله صفوان بن أمية، انظر: طبقات ابن سعد (٣/٥٤٨) وأسد الغابة (٥/٣٨ - ٣٩) والإصابة (٦/٨٤٥) والاستيعاب (٤/١٥٠٤ - ١٥٠٥).

وقال إياس بن أوس بن عتيك[٤٥]: « نرجو يا رسول الله أن نذبّح في القوم ويذبّح فينا، فنصير إلى الجنة ويصيرون إلى النار، مع أني يا رسول الله لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها فيقولون: حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها! فيكون هذا جُرأة لقريش، وقد وطئوا سِعفنا، فإذا لم نَذُبَّ عن عرضنا لم نزرع، وقد كنا يا رسول الله في جاهليتنا والعرب يأتوننا، ولا يطمعون بهذا منا، حتى نخرج إليهم بأسيافنا نذبهم عنا، فنحن اليوم أحق إذ أيّدنا الله بك، وعرفنا مصيرنا، ولا نحصر أنفسنا في بيوتنا ».

وقام خثيمة أبو سعد بن خثيمة[٤٦] فقال: « يا رسول الله! إن قريشاً مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها، ومن تبعها أحابيشها، ثم جاءونا قد تمادوا الخيل وامتطوا الإبل. حتى ينزلوا بساحتنا فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا، فيجرئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا، ويصيبوا

---

(٤٥) إياس بن أوس بن عتيك الأنصاري الاسهلي الخزرجي: استشهد يوم أحد، والمعلومات المتيسرة عن سيرته قليلة جداً، انظر أسد الغابة (١٥٢/١) والإصابة (٩٠/١) والاستيعاب (١٢٧/١).

(٤٦) خثيمة أبو سعد بن الحارث بن مالك الأنصاري الأوسي: والد سعد بن خثيمة، وقتل يوم أحد شهيداً، قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وهذا هو نسبه الصحيح وليس خيثمة بن خثيمة كما جاء في مغازي الواقدي (٢١٢/١). ولما أراد ابنه سعد الخروج إلى بدر، قال له أبوه: «لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم أنت مع نسائنا »، فأبى سعد وقال: «لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا »، فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر فقتل شهيداً، أنظر: أسد الغابة (٢ ١٣٩) و (٢٧٥/٢ - ٢٧٦) والاصابة (١٤٥/٢) و (٧٥/٣ - ٧٦) والاستيعاب (٤٥٨/٢) و (٥٨٨/٢ - ٥٨٩)، وانظر أيضاً طبقات ابن سعد (٦٠٧/٣) في سيرة ابنه الشهيد سعد بن خيثمة الأنصاري الأوسي، والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (٢٦٥) في سيرة ابنه سعد بن خيثمة، وانظر سيرته في الاستبصار (٢٦٤ - ٢٦٥).

أطرافنا ويضعوا العيون والارصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترىء علينا العرب حولنا، حتى يطمعوا فينا إذ رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن جوارنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأخرى فهي الشهادة. لقد أخطأتني وقعة بدر وقد كنت عليها حريصا لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد كنت حريصاً على الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها وهو يقول الحق بنا ترفقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا! وقد والله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سنّي ورق عظمي، واحببت لقاء ربّي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة» فدعا له رسول الله ﷺ بذلك، فقُتل بأحد شهيداً.

وقال أنيس بن قتادة[٤٧]: «يا رسول الله! هي إحدي الحسنيين، أما الشهادة، وأما الغنيمة والظّفر في قتلهم». فقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليكم الهزيمة».

فلما أبوا إلا الخروج، صلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس، ثم وعظ الناس وأمرهم بالجدّ والجهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، ففرح الناس بذلك، حيث أعلمهم رسول الله ﷺ بالشخوص إلى عدوّهم. وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وأمرهم بالتهيؤ

---

(٤٧) أُنيس بن قتادة: ورد في مغازي الواقدي (٢١٣/١): أنس بن قتادة، والصواب ما ذكرناه، وهو أنيس بن قتادة بن ربيعة بن مطرف بن خالد الأنصاري الأوسي، شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم أُحد شهيداً، قتله الأخنس بن شريق، وهو زوج خنساء بنت خذام الأسدية، وليس لأنيس عقب. انظر سيرته المفصلة في: طبقات ابن سعد (٤٦٤/٣) وأسد الغابة (١٢٦/١) و(١٣٥/١) والإصابة (٧١/١) و(٧٧/١) والاستيعاب (١٠٨/١) و(١١٣/١) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (٢٩٤) وانظر أنساب الأشراف (٣٣٠/١).

لعدوّهم. ثم صلى رسول الله ﷺ العصر بالناس، وقد حشد الناس وحضر أهل العوالي[٤٨] ورفعوا النساء في الآطام ودخل رسول الله ﷺ بيته، ودخل معه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فعمماه ولبساه وصف له الناس ما بين حجرته إلى منبرة ينتظرون خروجه.

وجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير[٤٩] فقالا: «قلتم لرسول الله ﷺ ما قلتم، واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء! فردوا إليه، فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم فيه هوى أو رأي فأطيعوه» وبينما القوم على ذلك من الأمر وبعض القوم يقول: القول ما قال سعد! وبعضهم محبذ للخروج، وبعضهم للخروج كاره، إذ خرج

---

(٤٨) العوالي: وهو جمع العالي ضد السافل، وهو ضيعة بينها وبين المدينه المنورة أربعة أميال، وقيل ثلاثة وذلك أدناها وأبعدها ثمانية، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٣٨).

(٤٩) أسيد بن حضير: الأنصاري الأوسي الأشهلي، يكني أبا يحيى بابنه يحيى، وقيل أبا عيسى كناه بها النبي ﷺ، وقيل كنيته أبو عتيك، وقيل أبو حضير، وقيل أبو عمرو: كان أبوه حضير فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج، وكان له حصن واقِم، وكان رئيس الأوس يوم بعاث. أسلم أسيد قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى، وقيل الثانية، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه أحداً، ويقول: «إنه لا خلاف عنده» أمه أم أسيد بنت السكن، وشهد العقبة الثانية وكان نقيباً لبني عبد الأشهل. وقد اختلف في شهوده بدراً، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وشهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح البيت المقدس. روى عنه أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنها وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الكريم، وكان أحد العقلاء الكملة أهل الرأي، وله في بيعة أبي بكر أثر عظيم. توفي في شعبان سنة عشرين الهجرية وحمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السرير حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه، وأوصى إلى عمر، فنظر عمر في وصيته فوجد عليه أربعة آلاف دينار، فباع ثمر نخله أربع سنين بأربعة آلاف وقضى دينه، أسد الغابة (١/٩٢ - ٩٣) والإصابة (١/٤٨) والاستيعاب (١/٩٢ - ٩٤) وانظر المحبر (٧١) والاستبصار (٢١٣ - ٢١٦).

رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته[٥٠]، وقد لبس الدّرع فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم، واعتم، وتقلد السّيف. فلما خرج رسول الله ﷺ ندموا جميعاً على ما صنعوا. وقال الذين يُلحون على رسول الله ﷺ: «ما كان علينا أن نلح على رسول الله في أمر يهوى خلافه» وندمهم أهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام، فقالوا: «يا رسول الله! ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك، وما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك!» فقال: «**قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه**» ثم قال: «**انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم**»[٥١].

ونزلت في يوم أُحُد من القرآن الكريم ستّون آية من سورة آل عمران[٥٢]، كان من ضمنها ما نزل في وصف هذه الشّورى وموقف النبي ﷺ من الذين أشاروا عليه بخلاف رأيه في وقت إبداء آرائهم، وموقفه بعد أن تكشّفت الأمور في القتال وظهر خطل تلك الآراء: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِن الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾[٥٣]، وجاء في تفسيرها: كان من أصحابك يا محمد ما كان، وهو مما يؤاخذون عليه، فلنت لهم وعاملتهم

---

(٥٠) اللأمة: الدرع، وقد يسمى السلاح كله لأمة.

(٥١) مغازي الواقدي (٢٠٩/١ - ٢١٤)، وانظر سيرة ابن هشام (٧/٣ - ٨) وطبقات ابن سعد (٣٨/٢) وجوامع السيرة (١٥٦ - ١٥٧) والدرر (١٥٤) والطبري (٥٠٢/٢ - ٥٠٣) وابن الأثير (١٥٠/٢) وتفسير المنار (٢٥٦/٤) وتفسير الرازي (٣٣٢/١) و (٨٩/٣) وصحيح البخاري (٩١/٩) وسنن البيهقي (٤٠/٧ - ٤١).

(٥٢) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٥٨/٣ - ٧٥) وانظر مغازي الواقدي (٣١٩/١ - ٣٣٤).

(٥٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩، وانظر تفسير المنار (١٩٨/٤).

بالحسنى، لأنك لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، لأن الفظاظة وهي الشراسة والخشونة في المعاملة والمعاشرة، وهي القسوة المنفرة للناس الذين لا يصبرون على معاشرة صاحبها وإن كثرت فضائله ورجيت فواضله، بل يتفرّقون ويذهبون من حوله. ﴿**فاعف عنهم واستغفر لهم**﴾ (سورة آل عمران، آية ١٥٩)، أي لا تؤاخذهم على ما فرّطوا، واسأل الله تعالى أن يغفر لهم ولا يؤاخذهم أيضاً. ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ (سورة آل عمران، آية ١٥٩) فالشورى هي سياسة الأمة في السلم والحرب، والخوف والأمن، وغير ذلك من مصالحهم الدنيويّة، أي دم على المشاورة وواظب عليها وإن أخطأوا الرأي فيها، فإنّ الخير كلّ الخير في تربيتهم على المشاورة بالعمل. دون الاقتصار على العمل برأي الرئيس، وإن كان صواباً، لما في ذلك من النّفع لهم في مستقبل حكومتهم ان أقاموا هذا الركن العظيم وهو الشّورى، فإنّ الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكثر، والخطر على الأمة في تفويض أمرها إلى الرّجل الواحد أسدّ وأكبر. ﴿**فاذا عزمت فتوكل على الله**﴾ (سورة آل عمران، آية ١٥٩)، أي إذا عزمت بعد المشاورة في الأمر على إمضاء ما ترجحه الشورى، واعددت له عدّته، فتوكل على الله في إمضائه. ﴿**إن الله يحب المتوكلين**﴾ (سورة آل عمران، آية ١٥٩)، على حول الله وقوته، مع العمل في الأسباب بسننه[٥٤].

وقال البيضاوي في تفسير هذه الآية: عاملهم معاملة العفو والصفح فيما يختص بك، واطلب المغفرة لهم، واستظهر برأيهم، وشاورهم بأمر الحرب وفي كل ما تصح فيه المشاورة[٥٥].

---

(٥٤) انظر التفاصيل في تفسير المنار (١٩٨/٤ - ٢٠٥).

(٥٥) تفسير البيضاوي (٩٤) المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥ هـ، وحاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي في تفسير البيضاوي (٧٦/٣)، وحاشية زادة على تفسير البيضاوي (٦٨٢/١) - مطبعة بولاق سنة ١٢٦٣ هـ.

لقد كان رأي النبي ﷺ، أن يبقى في المدينة، ويدافع عنها، ويحصنها ويستفيد من تحصيناتها المتيسرة من حصون وأبنية وموانع طبيعية واصطناعية، وأن يتقبل في المدينة ما يسمى: قتال المدن والشوارع مما يفيد المدافع ويضر المهاجم. ولكنه عليه الصلاة والسلام، لم يستبد برأيه على الرغم من صوابه، بل عرض الأمر كله على أصحابه، واستشارهم، وكانوا على علم مسبق بتفوق عدوهم العددي والعُددي عليهم وأن النبي ﷺ أراد الدفاع في المدينة ليقلل من خطر تفوق العدو على المسلمين، فأبدى كل صحابي أراد ابداء رأيه ما أراد على النبي ﷺ، فانصت إلى آرائهم المتعاقبة دون كلل ولا ملل ولا مقاطعة، ودعا لمن سأله الدعاء، وشجع أصحابه على إبداء الرأي حتى ولو كان مخالفاً لرأيه الصريح، وهذا دليل ما بعده دليل على حرية إبداء الرأي بكل مظاهرها وصورها وأشكالها وروحها. ولما وجد أن آراء الغالبية مع الخروج، أخذ بهذا الرأي المخالف لرأيه، والتزم بتطبيقه وتنفيذه حتى بعد أن تنازل أصحاب ذلك الرأي المخالف عن رأيهم، لأنه قرر أن يأخذ برأيهم وعزم على الالتزام به، فما ينبغي أن يبدل قراره بعد أن عزم على تنفيذه، وكل هذه الصورة الحية هو تطبيق عملي رائع لمبدأ الشورى، ودليل على اهتمام الشارع سبحانه وتعالى بأمر الشورى، وجعلها دعامة من الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام.

وقد تطورت الشورى واتخذت لها أسماء كثيرة وصوراً متعددة وتطبيقات شتى، ولا أعرف أسلوباً قديماً للشورى أو حديثاً، له ما لأسلوب الشورى الإسلامية من قدسية العمل به في مختلف الظروف والأحوال حتى مع من كانت آراؤهم غير صائبة، فأمثال هؤلاء حتى العصر الحديث بعد خمسة عشر قرناً من الهجرة، في الدول التي تتمشدق بالحرية والمساواة والشورى، يختفي المستشارون المخطئون عن الأنظار

ويحاسبون حساباً عسيراً، أما في الإسلام فيعاملون باللين والحسنى، والصفح والعفو، ويستغفر لهم ويشاورون في الأمر، كما كان عليه أمرهم قبل أن يخطئوا، دون أن يغير خطأهم الذي وقعوا فيه من أمرهم شيئاً!!

لقد كانت الشورى أساس النظام الإسلامي الذي لم يكن النبي ﷺ يحيد عنه[٥٦] ليعلم أصحابه والمسلمين في كل زمان ومكان أهمية تطبيقه لحاضر الإسلام والمسلمين ولمستقبلهم. ولم تكن الشورى في أمر الحرب وحده[٥٧] بل في أمر الحرب وغير الحرب، مما لم يرد فيه نص صريح في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة.

كما أن النبي ﷺ، بعد أن اتخذ قراره بالخروج إلى أحد خلافاً لرأيه، وعودة الذين أرادوا الخروج عن رأيهم وتحبيذهم عدم الخروج، أراد أن يعلم أصحابه والأجيال المسلمة القادمة في المستقبل، أن القائد إذا اتخذ قراره، وعزم على تطبيقه، فلا بد له من أن يمضي قدما في التطبيق، وإلا يفسح المجال لتبديل قراراته، لأن ذلك يجعل رجاله يسمونه بالتردد وعدم الثبات على القرار، وفي ذلك ما فيه من محاذير كثيرة، فلا بد من أن يكون القائد ثابت القرار، لا مجال للتردد في قراراته. ﴿**فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ (سورة آل عمران، آية ١٥٩) وأهمها في الأمور العامة: حربية كانت أو سياسية أو إدارية المشاورة، وذلك أن نقض العزيمة ضعف في النفس وزلزال في الأخلاق، لا يوثق فيمن اعتاده في قول ولا عمل. فإذا كان ناقص العزيمة رئيس حكومة أو قائد جيش، كان نقض العزيمة منه ناقضاً للثقة بحكومته وجيشه، ولا

---

(٥٦) الرسول القائد (١٧٥).

(٥٧) جاء في مغازي الواقدي (١/٣٢٤): «امره أن يشاورهم في الحرب وحده، وكان النبي ﷺ لا يشاور أحداً إلا في الحرب».

سيما إذا كان بعد الشروع في العمل. لذلك لم يصغ النبي ﷺ إلى قول الذين أشاروا عليه بالخروج إلى أحد حين أرادوا الرجوع عن رأيهم، خشية أن يكونوا قد استكرهوه على الخروج، وكان قد لبس لأمته وخرج، وذلك شروع في العمل بعد أن أخذت الشورى حقها، فعلمهم بذلك أن لكل عمل وقتاً، وأن وقت المشاورة متى انتهى جاء دور العمل، وأن الرئيس إذا شرع بالعمل تنفيذاً للشورى لا يجوز له أن ينقض عزيمته ويبطل عمله، وإن كان يرى أن أهل الشورى أخطأوا الرأي. كما كان يرى عليه الصلاة والسلام في مسألة الخروج إلى أحد، ويمكن إرجاع ذلك إلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين، وأي ضرر أشد من فسخ العزيمة وما فيه من الضعف والفشل وإبطال الثقة[٥٨].

وهذا ما يتفق مع أحد التعاليم العسكرية المعتمدة: الثبات على القرار، وتنفيذه بعزم وإصرار.

٣. في غزوة حمراء الأسد:

كانت يوم الأحد لثمان خلون من شوال من السنة الثالثة الهجرية[٥٩]، إذ عاد إلى المدينة يوم السبت لسبع خلون من شوال من أحد بعد أن فرغ من دفن أصحابه في ساحة المعركة، فدعا بفرسه فركبه، وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى، ولا مثل لبني سلمة وبني عبد الأشهل من الأنصار، ومعه أربع عشرة امرأة. وصلى رسول الله ﷺ المغرب بالمدينة[٦٠].

---

(٥٨) تفسير المنار (٢٠٦/٤)

(٥٩) مغازي الواقدي (٣٣٤/١)، وحمراء الأسد: على ثمانية أميال، وقيل عشرة من المدينة، عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحُليفة على طريق المدينة - مكة، انظر شرح المواهب اللدنية (٧٠/٢)، وانظر طبقات ابن سعد (٤٨/٢).

(٦٠) انظر التفاصيل في مغازي الواقدي (٣١٤/١ - ٣١٩).

وفي فجر يوم الأحد، خرج النبي ﷺ للصلاة، فإذا بعبد الله عمرو ابن عوف المزني[٦١] على بابه، فقال: «يا رسول الله! أقبلت من أهلي، حتى إذا كنت بـ(ملل)[٦٢] فإذا قريش قد نزلوا، فقلت: لأدخلن فيهم ولأسمعن من أخبارهم. فجلست معهم، فسمعت أبا سفيان[٦٣] وأصحابه يقولون: ما صنعنا شيئاً، أصبتم شوكة القوم وحدتهم فارجعوا نستأصل

---

(٦١) عبد الله بن عمرو بن عوف المزني: لم أجد شيئاً عن سيرته في أسد الغابة والإصابة ولا في الاستيعاب، ويبدو أنه من الاعراب الذين لم يسلموا، وإلا لكان له شأن في المصادر التي تحدثت عن سير الصحابة الكرام.

(٦٢) ملل: اسم موضع بين مكة والمدينة، وينبغي أن يكون قريباً من المدينة، وليس ملل الذي بينه وبين المدينة (٢٨) ميلاً، انظر معجم البلدان (١٥٣/٨)، لأن قريشاً لا تصل هذه المرحلة الطويلة في ليلة واحدة، ومن المحتمل أن يكون: ملل هو الوادي المنحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش فرش سويقة، ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم - وادٍ يسيل حتى يفرغ في البحر، فأعلى أضم القناة التي تمر دوين المدينة، وهذ الموضع قريب من المدينة وعلى مرحلة قريبة منها، ويحتمل أن تكون قريش في هذا الموضع القريب.

(٦٣) أبو سفيان بن حرب: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما، ولد قبل الفيل بعشر سنين، وكان من أشراف قريش، تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها، وكانت إليه راية الرؤساء التي تسمى: العقاب، وهو الذي قاد قريش في أُحد. أسلم ليلة فتح مكة، شهد غزوة حنين وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائمها مائة بعير، وشهد غزوة الطائف مع رسول الله ﷺ ففقأت عينه يومئذ وفقأت عينه الأخرى في اليرموك، وشهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد يقاتل ويقول: يا نصر الله اقترب، وكان يقف على الكراديس يقص ويقول: «الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم دارة الروم وانصار المشركين، اللهم هذا اليوم من أيامك، اللهم انزل نصرك على عبادك»، وقد حسن إسلامه، وتوفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة ثلاث وثلاثين، وقيل إحدى وثلاثين، وقيل أربع وثلاثين، وصلى عليه عثمان، وقيل: صلى عليه ابنه معاوية، وكان عمره ثمانياً وثمانين سنة، وقيل ثلاث وتسعون سنة، وقيل غير ذلك، انظر التفاصيل في أسد الغابة (٢١٦/٥) والإصابة (٢٣٧/٣ - ٢٣٨) والاستيعاب (١٦٧٧/٤-١٦٨٠).

من بقي! وصفوان[٦٤] يأبى ذلك عليهم »[٦٥].

ودعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فذكر لهما ما أخبره المزني، فقالا: « اطلب العدو، ولا يقحمون على الذرية »، فلما سلم من صلاة الفجر، أمر بأن يطلب الناس عدوهم، فخرج المسلمون وبهم الجراحات[٦٦]، وأمر النبي ﷺ، ألا يخرج مع المسلمين إلا من شهد القتال يوم أحد أمس.

وخرج سعد بن معاذ راجعاً إلى داره يأمر قومه بالمسير، والجراح في الناس فاشية، عامة بني عبد الأشهل جريح، بل كلها، فجاء سعد بن معاذ فقال: « إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تطلبوا عدوكم » فقال أسيد بن حضير، وبه سبع جراحات وهو يريد أن يداويها: « سمعاً وطاعة لله ولرسوله »، فأخذ سلاحه، ولم يعرج على دواء جراحه.

وفعل رؤساء الأوس والخزرج من الأنصار ما فعل سعد بن معاذ، فخف الأنصار إلى النبيّ ﷺ وخف المهاجرون. وخرج النبيّ ﷺ وهو مجروح في وجهه ومشجوج في جبهته. ورباعيته قد شظيت، وشفته السفلى قد كلمت في باطنها، وهو متوهن منكبه الأيمن من ضربة أحد المشركين[٦٧]، وركبتاه مجحوشتان[٦٨]. وركب رسول الله ﷺ فرسه، وخرج الناس معه، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار قريش،

---

(٦٤) صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي: قُتل أبوه يوم بدر كافراً، أسلم صفوان بعد فتح مكة بعد أن أمّنه رسول الله ﷺ، وأعطاه من غنائم يوم حُنين، وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية ومات بمكة سنة اثنتين واربعين الهجرية أول خلافة معاوية، انظر أسد الغابة (٢٢/٣) والإصابة (٢٤٦/٣).

(٦٥) مغازي الواقدي (٣٢٦/١).

(٦٦) مغازي الواقدي (٣٢٦/١ - ٣٢٧).

(٦٧) هو ابن قميئة.

(٦٨) جحش الجلد: خدشه، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سقط من فرس، فجحش شقه ».

فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد، وللقوم زجل[٦٩]، وهم يأتمرون بالرجوع، وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك. ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه، حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون في تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه.

وانصرف مشركو قريش سراعاً خائفين من الطلب لهم، ومر بأبي سفيان نفر من عبد القيس يريدون المدينة، فقال: «هل أنتم مبلغو محمداً وأصحابه ما أرسلكم به، على أن أوقر لكم أباعركم زبيباً غداً بعكاظ[٧٠] إن أنتم جئتموني؟»، قالوا: نعم. قال: «حيثما لقيتم محمداً وأصحابه، فأخبروهم أنا قد أجمعنا الرجعة إليهم، وأنا في آثاركم»، وهكذا انصرف المشركون خائفين وجلين من المسلمين، فانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليال[٧١].

وقد خرج رسول الله ﷺ بمن معه، من أصحابه، مرهبا للعدو، وليظنوا أن بالمسلمين قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم[٧٢] وأن يحول دون عودة المشركين إلى المدينة، ليلحقوا بالمسلمين وبنسائهم وأطفالهم وشيوخهم خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات لا مسوغ لها.

فكان خروج المسلمين إلى حمراء الأسد بالغ الأثر في معنويات المشركين، حيث تخلوا عن الرجوع من جديد إلى المدينة، واكتفوا

---

(٦٩) سحاب ذو زجل: ذو رعد، كأنهم من فرحهم يرعدون.

(٧٠) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، بينه وبين مكة ثلاث ليال، وبينه وبين الطائف ليلة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٣/٦).

(٧١) مغازي الواقدي (٣٣٤/١ - ٣٤٠) وطبقات ابن سعد (٤٨/٢ - ٤٩) وسيرة ابن هشام (٥٢/٣-٥٦) وعيون الأثر (٣٧/٢-٣٨) والدرر (١٦٧) وجوامع السيرة (١٧٥).

(٧٢) سيرة ابن هشام (٥٢/٣) والدرر (١٦٧).

بالتراجع إلى مكة، وكان للشورى النبوية في هذه الغزوة أثرها الكبير في إحراز هذه النتيجة المشرفة، التي حمت المسلمين من خطر المشركين، ورفعت معنويات المسلمين، وأدت إلى انهيار معنويات المشركين.

٤. في غزوة الخندق:

أ. في غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب، وقد عسكر رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذي القعدة سنة خمس الهجرية، وحاصره الأحزاب خمس عشرة ليلة[٧٣].

وكان القوم جميعاً الذين وافوا الخندق من قريش، وسليم، وغطفان، وأسد، عشرة آلاف، بقيادة أبي سفيان بن حرب.

وندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم، وأمرهم بالجد والجهاد، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا، وأمرهم بطاعة الله ورسوله.

وشاورهم رسول الله ﷺ، وكان يكثر مشاورتهم في الحرب، فقال: «**أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها ونخندقها علينا، أم نكون قريباً ونجعل ظهورنا إلى الجبل؟**»، فاختلفوا، فقالت طائفة: نكون مما يلي بعاث[٧٤]) إلى ثنية الوداع[٧٥] إلى الجرف[٧٦] فقال سلمان[٧٧]: «يا رسول

---

(٧٣) مغازي الواقدي (٢/٤٤٠) وانظر طبقات ابن سعد (٢/٦٥).

(٧٤) بعاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية. انظر معجم البلدان (٢/٢٢٣).

(٧٥) ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة يطوها من يريد مكة، انظر معجم البلدان (٣/٢٥).

(٧٦) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، انظر معجم البلدان (٣/٨٧).

(٧٧) سلمان الفارسي: أبو عبد الله، يعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ سئل عن نسبه فقال: «أنا سلمان ابن الاسلام»، أصله من فارس من رام هرمز وقيل من أصفهان، كان مجوسياً فتنصر ورحل إلى الشام ثم إلى الموصل ثم إلى عمورية ثم رافق قسماً من

الله! إنا إذ كنا بأرض فارس، وتخوفنا الخيل. خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟ »، فأعجب رأي سلمان المسلمين، وذكروا حين دعاهم النبيّ ﷺ يوم أحد أن يقيموا بالمدينة ولا يخرجوا، فكره المسلمون الخروج، وأحبوا الثبات في المدينة.

واختار المسلمون موضع الخندق، وأمر رسول الله ﷺ بحفره، وعمل فيه بيده كأي فرد من أصحابه، فتم حفر الخندق قبل وصول الأحزاب إلى المدينة.

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٧٨] فنزلوا هناك والخندق بينهم، وأمر بالنساء

الأعراب فباعوه ليهود بالقرب من المدينة، ثم أتى المدينة، حتى سمع بقدوم رسول الله ﷺ إليها، فأسلم، ومنعه عن حضور غزوة بدر وأحد أنه كان عبداً لسيده. أول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق، وكان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، وأشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب، وسكن العراق بعد فتحه وأصبح والي المدائن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم، فإذا خرج عطاؤه وأكل من كسب يده، وكان يسف الخوص. واحتج المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: « **سلمان منا أهل البيت** ». روى عنه ابن عباس وأنس وعقبة ابن عامر وأبو سعيد الخدري وأبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهم. توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان، وقيل أول سنة ست وثلاثين، وقيل توفي في خلافة عمر بن الخطاب، والأول أكثر، وكان سلمان من المعمرين، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٢/٣٢٨-٣٣٢) والاصابة (٣/١١٣-١١٤) والاستيعاب (٢/٦٣٤-٦٦٨) وطبقات ابن سعد (٤/٧٥-٩٣) وفيه: توفي بالمدائن، وتهذيب ابن عساكر (٦/١٩٠-٢١١) وحلية الأولياء (١/١٨٥-٢٠٨) وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٤/١٣٧-١٣٩) وصفة الصفوة (١/٢١٠-٢٢٥).

وقبره في المدائن في مسجده الكبير، وقد أصبحت المدائن تسمى باسمه أيضاً: سلمان باك، أي الطاهر سلمان، فقد كان أميراً على المدائن.

(٧٨) سلع: جبل بالمدينة معروف، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٠٧ - ١٠٨).

والذراري، فجعلوا في الآطام.

وكان كعب بن أسد رئيس بني قريظة من يهود المدينة موادعاً لرسول الله ﷺ، فأتاه حيي بن أحطب، فلم يزل به، وكعب يأبى عليه، حتى أثر فيه، ونقض كعب عهده مع رسول الله ﷺ، ومال مع حيي الذي جاء مع الأحزاب، فعظم الأمر وأحيط المسلمون من كل جهة.

ب. وبقي المشركون محاصرين المسلمين، وبنو قريظة يهددون مواضع المسلمين من داخل المدينة، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن ابن حذيفة(٧٩)، والحارث بن عوف بن أبي حارثة(٨٠) رئيسي غطفان،

---

(٧٩) عيينة بن حصن: أسلم بعد الفتح، وقيل أسلم قبل الفتح وشهد الفتح مسلماً وهو الصواب، وشهد حنيناً والطائف أيضاً، وكان من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة. وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه، فأخذ أسيراً، وحمل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأسلم، فأطلقه أبو بكر. وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف، وتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه ابنته، وقال يوماً لعبدالله بن مسعود: «أنا ابن الأشياخ الشم»، فقال ابن مسعود: «ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام»، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٤/١٦٦-١٦٧) والإصابة (٥/٥٥ - ٥٦) والاستيعاب (٣/١٢٤٩-١٢٥١) وسيرته المفصلة في كتابنا: قادة النبي ﷺ.

(٨٠) الحارث بن عوف بن أبي حارثة الغطفاني: قدم على رسول الله ﷺ فأسلم، وبعث معه رجلاً من الأنصار إلى قومه ليسلموا، فقتلوا الأنصاري، ولم يستطع الحارث أن يمنع عنه، وفيه يقول حسان بن ثابت:

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمداً لا يغدر
وأمانة المريّ ما استودعته ... مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

فجعل الحارث يعتذر ويقول: «أنا بالله وبك يا رسول الله من شر ابن الفريعة، فوالله لو مزج البحر بشره لمزجه»، فقال النبي ﷺ «**دعه يا حسان**»، قال: «قد تركته». وهو صاحب الحمالة في حرب داحس والغبراء، وأحد رؤوس الأحزاب يوم الخندق، ولما قتل الأنصاري الذي أجاره، بعث بديته سبعين بعيراً، فأعطاها رسول الله ﷺ ورثته، واستعمله النبي ﷺ على بني مرة، وله عقب، انظر: أسد الغابة (١/٣٤٢-٣٤٣) والاصابة (١/٢٩٩-٣٠٠) والاستيعاب (١/٢٩٦ - ٢٩٧).

فأعطاهم ثلث ثمار المدينة، وجرت المساومة في ذلك، ولم يتم الأمر، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة[81] فقالا: «يا رسول الله! أشيء أمرك الله به، فلا بد لنا منه؟ أم شيء تحبه فنصنعه؟ أم شيء تصنعه لنا؟»، قال: «**بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد**»، فقال سعد بن معاذ: «يا رسول الله! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً، فحين

---

(٨١) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي: يكنى أبا ثابت، وقيل أبا قيس، شهد العقبة وكان نقيباً، ثم شهد بدراً وسائر مشاهد رسول الله ﷺ، وهو سيد الخزرج كلها غير مدافع، كان جواداً مطعاما، يقال: إنه لم يكن في الأنصار كلها أربعة مطعمون يتوالون في بيت واحد إلا قيس بن عبادة بن دليم، ولم يكن ذلك في سائر العرب إلا ما ذكر عن صفوان بن أمية القرشي الجمحي في بابه. ومر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما على أطم سعد، فقال لنافع مولى ابن عمر: هذه أطم جده، لقد كان مناديه ينادي يوماً في كل حول: من أراد اللحم والشحم فليأت دار دليم، فمات دليم فنادى عبادة بمثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى سعد بمثل ذلك، ثم قد رأيت قيس بن سعد يفعل ذلك». وروى أنه كان لسعد جفنة تدور مع النبي ﷺ حيث دار من بيوت نسائه. وكان مع المسلمين يوم بدر سبعون بعيراً، لسعد منها عشرون، وقد ذكرنا موقفه من الصلح مع عيينة بن حصين والحارث بن عوف الحاسم في أعلاه. وكانت راية رسول الله ﷺ مع سعد يوم فتح مكة، فسمعه أبو سفيان وهو يقول: «اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً»، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة، فنزع اللواء من يده، وجعله بيد قيس ابنه. وسعد بن عبادة هو الذي أرادت الأنصار بيعته يوم السقيفة، حين قالوا: منا أمير، ومنكم أمير. فلما أجمعوا على بيعة أبي بكر رضي الله عنه لم يبايع سعد أبا بكر، وسار إلى الشام، فأقام بحوران إلى أن مات سنة خمس عشرة، وقيل سنة أربع عشرة، وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل: إن قبره بالمنيحة قرية غوطة دمشق وهو مشهور يزار إلى اليوم، روى عنه ابن عباس وغيره، انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (٣/٦١٣-٦١٧) وأسد الغابة (٢/٢٨٣-٢٨٥) والإصابة (٣/٨٠-٨١) والاستيعاب (٢/٥٩٤ - ٥٩٩) وتهذيب ابن عساكر (٦/٨٦-٩٣) والاستبصار (٩٣ - ٩٧).

أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، واعزنا بك وبه، تعطيهم أموالنا؟! والله لا نعطيهم إلا السيف»، فصوب رسول الله ﷺ رأيه وأخذ به.

وأخيراً، انتهت غزوة الخندق، برحيل الأحزاب عن المدينة خائبين، فلما أصبح رسول الله ﷺ وقد انسحب الأحزاب إلى مواطنهم، رجع عن الخندق إلى المدينة، ووضع المسلمون سلاحهم[٨٢]، وكان أثر الشورى في نصر المسلمين واضحاً.

٥. في غزوة الحديبية[٨٣]:

أ. جرت هذه الغزوة في شهر ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية[٨٤]، فقد خرج النبيّ ﷺ معتمراً بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن اتبعه من العرب، وساق الهدي، وأحرم بالعمرة من (ذي الحليفة)[٨٥] ليعلم الناس أنه لم يخرج لحرب، وخرج في ألف وستمائة،

---

(٨٢) انظر التفاصيل في: مغازي الواقدي (٢/٤٤٠ - ٤٩٦) وسيرة ابن هشام (٣/٢٢٩-٢٥٢) وطبقات ابن سعد (٢/٦٥ - ٧٤) وجوامع السيرة (١٨٥ - ١٩١) والدرر (١٧٩-١٨٨) وعيون الأثر (٢/٥٥-٦٨) والطبري (٢/٥٦٤ - ٥٨١) وابن الأثير (٢/١٧٨ - ١٨٤) وزاد المعاد (٢/٢٨٨) والامتاع (٢١٥) والمواهب (١/١٤٢) وتاريخ الخميس (١/٤٧٩) والبداية والنهاية (٤/٩٢ - ١١٦) وأنساب الأشراف (١/٣٤٣ - ٣٤٧) والبخاري (٥/١٠٧) وصحيح مسلم شرح النووي (١٢/١٤٥) و (١٢/١٧١) والنويري (١٧/١٦٦) والسيرة الحلبية (٢/٤٠١).

(٨٣) الحديبية: قرية ليست بكبيرة، بينها وبين مكة مرحلة واحدة، وهي على تسعة أميال من مكة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وسميت باسم بئر هناك عند مسجد الشجرة وقيل شجرة هناك حدباء سميت بها على التصغير، انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (٢/٢١٦) ومعجم البلدان (٣/٢٣٣ - ٢٣٤).

(٨٤) طبقات ابن سعد (٢/٩٥) وجوامع السيرة (٢٠٧) والدرر (٢٠٤)، وفي مغازي الواقدي (٢/٥٧٢)، أنها كانت في شهر شوال سنة ست الهجرية، والأول أصح لإجماع أكثر المصادر المعتمدة عليه.

(٨٥) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة أميال، وهي ميقات أهل المدينة الذي يحرمون عنده للحج، وهي على طريق المدينة - مكة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٢٩).

ويقال ألف وأربعمائة، ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون[٨٦]، وقدم عباد بن بشر[٨٧] أمامه طليعة في عشرين فارساً من خيل المسلمين[٨٨].

وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح[٨٩] وقدموا مائتي فارس إلى كراع الغميم[٩٠] وعليهم خالد بن الوليد، ووضعوا العيون على الجبال ووضعوا الارصاد.

وورد الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ وهو بعسفان[٩١]، فقال

---

(٨٦) طبقات ابن سعد (٢/٩٥) ومغازي الواقدي (٢/٥٧٤).

(٨٧) عباد بن بشر الأنصاري الأوسي الأشهلي: يكنى أبا بشر وقيل أبو الربيع، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير قبل إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي النبيّ ﷺ والمسلمين، وقال عباد في ذلك شعرا، وكان من فضلاء الصحابة. وقالت عائشة أم المؤمنين: «ثلاثة من بني عبد الأشهل لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا. سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير وعباد بن بشر»، وقالت: «تهجد رسول الله ﷺ، فسمع صوت عباد بن بشر، فقال: اللهم ارحم عباداً»، وقتل عباد يوم اليمامة شهيداً وهو ابن خمس وأربعين سنة، وكان يومئذ له غناء (أي كفاية) وبلاء لم يرو لأحد مثله، ويقال: إنه قتل يومئذ أكثر من عشرين نفساً، وأنه كان يضرب بسيفه حتى يصير مثل المنجل، فيقومه على ركبتيه، ثم يضرب به. وروي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**يا معشر الأنصار! أنتم الشعار والناس الدثار، فلا أُوتين من قبلكم**»، ولا عقب له، انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (٣/٤٤٠-٤٤١) وأسد الغابة (٣/١٠٠-١٠١) والإصابة (٤/٢٢) والاستيعاب (٢/٨٠١-٨٠٣) والبداية والنهاية (٦/٣٣٧-٣٣٨) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (٢٢٠-٢٢٢) وانظر أنساب الأشراف (١/٢٧١) والمحبر (٧٢و٢٨٢).

(٨٨) طبقات ابن سعد (٢/٩٥) ومغازي الواقدي (٢/٥٧٤).

(٨٩) بلدح: واد قبل مكة من جهة المغرب، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٦٤-٢٦٥) وانظر أيضاً: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق علي محمد البجاوي - (٢١٧) - القاهرة - ١٣٧٣هـ.

(٩٠) كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز. بين مكة والمدينة، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٢٦).

(٩١) عسفان: قرية على طريق المدينة - مكة، بين الجحفة ومكة، وهي من مكة على مرحلتين، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٧٣-١٧٤).

رسول الله ﷺ: «**هذا خالد بن الوليد على خيل المشركين بالغميم**». ثم قام رسول الله ﷺ، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد! فكيف ترون يا معشر المسلمين في هؤلاء الذين استنفروا إلى من أطاعهم ليصدونا عن المسجد الحرام؟ أترون أن نمضي لوجهنا إلى البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه، أم ترون أن نُخلف هؤلاء الذين استنفروا إلى أهليهم فنصيبهم؟ فإن اتبعونا اتبعنا منهم عنق يقطعها الله، وإن قعدوا قعدوا محزونين موتورين!**»، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: «الله ورسوله أعلم! نرى يا رسول الله أن نمضي بوجهنا، فمن صدنا عن البيت قاتلناه»، فقال رسول الله ﷺ: «**فإن خيل قريش فيها خالد بن الوليد بالغميم**»، وكان أبو هريرة[٩٢] يقول: «فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط».

وقام المقداد بن عمرو، فقال مقالته التي قالها قبيل غزوة بدر الكبرى، فكرر ذلك المقالة في هذا الموقف، وكان فحوى رأيه، أن يمضي

---

(٩٢) أبو هريرة الدوسي: صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثاً عنه، وهو دوسي من الأزد، مشهور بكنيته، أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، فدعا له رسول الله ﷺ. قال عبد الله بن عمر بن الخطاب لأبي هريرة: «أنت كنت الزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه»، وقال الإمام البخاري: «روي عن أبي هريرة أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع، فمن الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس»، واستعمله عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله، ثم أراده على العمل، فامتنع عن العمل وسكن المدينة وبها كانت وفاته، وقد توفي سنة سبع وخمسين الهجرية، وقيل سنة ثمان وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة، قيل مات بالعقيق وحمل إلى المدينة، انظر: أسد الغابة (٥/٣١٥-٣١٧) والإصابة (٧/١٩٩-٢٠٧) والاستيعاب (٤/١٧٦٨-١٧٧٢) وتهذيب التهذيب (٢/٢٦٢-٢٦٧) والبداية والنهاية (٨/١٠٣-١١٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢٧٠).

النبيّ ﷺ قدماً لقتال المشركين، ولن يتخلى المسلمون عنه ولا يتركونه وحده في الميدان[٩٣].

وتكلم أسيد بن حُضير فقال: «يا رسول الله! نرى أن نعمد لما خرجنا له، فمن صدنا قاتلناه»، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لم نخرج لقتال أحد، إنما خرجنا عُمّاراً**».

ولقيه بديل بن ورقاء[٩٤] في نفرٍ من أصحابه، فقال: «يا محمد! لقد غَرَرت بقتال قومك جلابيب[٩٥] العرب، والله ما رأى معك أحداً له وجه. مع أني أراكم قوماً لا سلاح معكم!»، فرد عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه رداً قاسياً، فقال بديل: «أما والله لولا يد لك عندي لأجبتك، فوالله ما أتهم أنا ولا قومي ألاّ أكون أحب أن يظهر محمد! إني رأيت قريش مقاتلتك عن ذراريها وأموالها، قد خرجوا إلى بلدح فضربوا الأبنية، معهم العوذ المطافيل[٩٦]، وردفوا[٩٧] على الطعام، يطعمون الجزر من جاءهم، يتقوون بهم على حربكم، فر رأيك».

وسلك رسول الله ﷺ طريقاً يخرج منه في ظهورهم، فخرج إلى

---

(٩٣) مغازي الواقدي (٢/٥٨٠) وقوله هنا نص قوله قبيل غزوة بدر الكبرى، وأرجح أنه قال هذا القول قبيل غزوة بدر الكبرى، لاجماع المصادر على ذلك، وانفرد الواقدي في أنه قال هذا القول قبيل غزوة بدر الكبرى وفي غزوة الحديبية أيضاً.

(٩٤) بديل بن ورقاء الخزاعي: أسلم يوم فتح مكة بمر الظهران، ولجأت قريش إلى داره يوم فتح مكة، شهد حنيناً والطائف وتبوك، وكان من كبار مسلمة الفتح، وتوفي بديل قبل النبي ﷺ، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (١/١٧٠) والإصابة (١/١٤٦) والاستيعاب (١/١٥٠) وطبقات ابن سعد (٤/٢٩٤).

(٩٥) جلابيب: جمع جلباب، وهو الازار والرداء، انظر النهاية (١/١٧٠) والجلابيب: لقب كان المشركون بمكة يلقبون به أصحاب النبيّ ﷺ، انظر شرح أبي ذر (٣٣٣).

(٩٦) العوذ من الإبل: جمع عائذ، وهي التي ولدت، والمطافيل: جمع مطفل، وهي التي لها طفل، فاستعاره ههنا للنساء والصبيان. انظر شرح أبي ذر (٣٢٩).

(٩٧) رادفوا: أي يتبع بعضهم بعضاً، انظر القاموس المحيط (٣/١٤٤).

الحديبية من أسفل مكة، وكان دليله في ذلك رجلاً من أسلم، بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد بن الوليد، جرت إلى قريش تعلمهم بذلك.

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى الحديبية، بركت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال الناس: خلأت[98]، خلأت، فقال النبيّ ﷺ: « **ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل[99] عن ملة! لا تدعوني قريش إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم اياها** »[100]، ثم نزل رسول الله ﷺ هناك.

وكان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالحديبية يتحارسون اللَّيل، وكان الرَّجل من أصحابه يبيت على الحرس حتى يُصبح يُطيف بالعسكر. وكان عثمان بن عفّان بمكة بعدُ، وكانت قريش بعثت ليلاً خمسين رجلاً، وأمروهم أن يُطيفوا بالنبيّ ﷺ رجاءَ أن يصيبوا منهم رجلاً أو يصيبوا منهم غِرَّة، فأخذهم المسلمون وجاؤوا بهم إلى رسول الله ﷺ. وكان عثمان قد أقام بمكة ثلاثاً يدعو قريشاً، وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكّة باذن رسول الله ﷺ على أهليهم، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان وأصحابه قد قُتِلوا، فدعا إلى البيعة، فأقبل المسلمون يبايعونه على ألا يفرّوا، وقال قائل: « بايعهم على الموت ».

ثم إنّ قريشاً بعثوا سُهيل بن عمرو[101]، فسأل النبيّ ﷺ أن يطلق

---

(٩٨) خلأت: أي حزنت، ولا يقال ذلك إلا للناقة. وبركت، والخلاء في الإبل بمنزل الحران في الدواب، انظر شرح أبي ذر (٣٤٠).

(٩٩) يشير الى قصة أبرهة وفيله الذي حبس عن مكة عام الفيل، ووردت قصته في سورة الفيل من القرآن الكريم، كما وردت في المصادر التاريخية المعتمدة وبعض كتب السيرة النبوية.

(١٠٠) سيرة ابن هشام (٣/٣٥٨).

(١٠١) سهيل بن عمرو القرشي العامري: يكنى أبا يزيد، أحد أشراف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم أسر يوم بدر كافراً، وكان أعلم الشفة، فقال عمر بن الخطاب: =

سراح مَنْ أسرهم المسلمون في الحديبية من المشركين، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إني غير مرسلهم حتى تُرسل أصحابي**»، فبعثوا إليه بمن كان عندهم، وكانوا أحد عشر رجلاً، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابهم الذين أُسروا.

وبدأت المفاوضات بين النبيّ ﷺ ومعه نفر من ذوي الرأي من الصحابة عن المسلمين، وبين سُهَيْل بن عمرو ومعه رجلان من مشركي

= «يا رسول الله! أنزع ثنيته، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً». فقال: «**دعه يا عمر، فعسى أن يقوم مقاماً تحمده عليه**»، فكان ذلك المقام، أن رسول الله ﷺ لما توفي، ارتجت مكة لما رأت قريش من ارتداد العرب، واختفى عتاب بن أسيد الأموي أمير مكة للنبيّ ﷺ فقام سهيل بن عمرو خطيباً فقال: «يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما، في كلام طويل، وأحضر عتاب بن أسيد، وثبتت قريش على الإسلام. أسلم سهيل يوم الفتح. وحضر الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وأولئك الشيوخ من مسلمة الفتح، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر كصهيب وبلال وعمار وأهل بدر، وكان يحبهم، فقال أبو سفيان: «ما رأيت كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا!!»، فقال سهيل بن عمرو: «أيها القوم! إني والله قد أرى ما في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم: دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم! أما والله، لما سبقوكم من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه»، ثم قال: «أيها الناس، إن هؤلاء سبقوكم بما ترون. فلا سبيل والله إلى ما سبقوكم إليه. فانظروا هذا الجهاد فالزموه، عسى الله أن يرزقكم الشهادة»، ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام، وخرج بأهل بيته إلا ابنته هنداً مجاهداً، فماتوا هناك. ولم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم الفتح، أكثر صدقة وصلاة وصوماً ولا أقبل على ما يعينه من أمر الآخرة من سهيل بن عمرو، حتى إنه كان قد شحب وتغير لونه، وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن، وقد رؤي يختلف إلى معاذ بن جبل يقرئه القرآن وهو يبكي حتى خرج معاذ من مكة، قيل استشهد يوم اليرموك وهو على كردوس، وقيل استشهد يوم الصفر، وقيل مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو الأشهر، انظر سيرته المفصلة في، أسد الغابة (٢/٣٧١-٣٧٣) والإصابة (٣/١٤٦-١٤٧) والاستيعاب (٢/٦٦٩-٦٧٢).

قريش عن قريش، فأطال سُهَيْل الكلام وتراجع، وترافعت الأصوات وانخفضت، ثمّ تمّ الاتفاق على صيغة المعاهدة:

«باسمك اللّهم

هذا ما اصطلح عليه محمّد بن عبد الله وسُهَيْل بن عمرو، اصطلحا على وَضْع الحرب عشرَ سنين، يأْمَن فيها الناسُ، ويكُفّ بعضهم عن بعض، على أنّه لا إسْلال ولا إغلال[١٠٢]، وأن بيننا عَيْبة مَكْفوفة[١٠٣]، وأنّه مَنّ أحبّ أن يدخل في عهد محمّد وعقده فعل، وأنّه مَنْ أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعقدها فعل، وأنه مَنْ أتى محمّداً منهم بغير إذن وَلِيّه ردّه إليه، وأنّه مَنْ أتى قريشاً من أصحاب محمّد لم تردّه، وأنّ محمّداً يرجع عنّا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا قابلَ في أصحابه فيُقيم ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر: السّيوف في القُرب».

وشهد على نّص الاتفاق سبعة من كبار المسلمين، واثنان من مشركي قريش، وكتب المعاهدة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأخذ نسخة منها النبيّ ﷺ، وأخذ النسخة الثانية سهيل بن عمرو.

ب. ووثبت من هناك خُزاعة، فقالوا: نحن ندخل في عهد محمّد وعقده، ونحن على مَن وراءنا من قومنا. فما فتح الإسلام فتحٌ قبله كان كفتح صلح الحُدَيبيَّة، فلما كانت الهدنة ووضِعت الحرب وأَمِنَ الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يُكَلِّم أحدٌ في الإسلام يعقل شيئاً إلاّ دخل فيه، ولقد دخل في تينِكَ السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر، فقد خرج النبيّ ﷺ في ألف وستماية أو

---

(١٠٢) الاسلال: السرقة الخفية. والاغلال: الخيانة، انظر شرح أبي ذر (٣٤١).

(١٠٣) عيبة مكفوفة: هي استعارة، وإنما يريد تكف عنا ونكف عنك، انظر شرح أبي ذر (٣٤١).

أقل إلى الحديبية، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فقط في عشرة آلاف.

لقد كانت نتائج غزوة الحُدَيْبيَّة فتحاً مُبيناً: ﴿إنَّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[١٠٤]، وفتحاً قريباً: ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾[١٠٥]، والفتح القريب صلح الحديبية كما ذكر المفسّرون، فما كان فتح الإسلام أعظم من فتح الحُديبيَّة[١٠٦].

جـ. لقد كان هدف النبيّ ﷺ هو إظهار قوة المسلمين لمشركي قريش والقبائل المجتمعة للحج وشدّة ضبطهم وطاعتهم لرسول الله ﷺ وتعلّقهم بالدعوة الإسلامية وحرصهم على الدفاع عنها وحماية حريّة نشرها، لتكون كلمة الله هي العليا.

وكان هدفه إظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام بصورة عمليّة، حتى تتأكد العرب من ذلك عن يقين لا يتطرّق إليه الشك.

وكانت خُطَّته عليه الصّلاة والسّلام في تحقيق هذا الهدف الحيوي، هو إتخاذ السّلام وسيلةً ما استطاع إلى ذلك سبيلا، إلاّ إذا اضطر على اتّخاذ خُطة الدفاع المشروع دفاعاً عن المسلمين في حالة تعرضهم للاعتداء عليهم بالقوة الضاربة للمشركين.

وكانت لهذه الغزوة ثلاث مراحل للشورى.

المرحلة الأولى، هي قبل الانطلاق من المدينة إلى مكّة، فقد أشار على النبيّ ﷺ بعض الصحابة أن يتسلح المسلمون تسليحاً كاملاً، بحجّة احتمال حدوث قتال متوقّع بين المسلمين والمشركين، ولم يكن أبو بكر

---

(١٠٤) سورة الفتح، آية ١.

(١٠٥) سورة الفتح، آية ١٨.

(١٠٦) سيرة ابن هشام (٣/٣٧٢) ومغازي الواقدي (٢/٦٢٣-٦٢٤).

الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ممن أشاروا بهذا الرأي، ولا كان غيرهما من كبار الصحابة ممن أشار بهذا الرأي.

ولكن النبيّ ﷺ كان قد قرّر منذ مغادرته المدينة ألاّ يحارب قريشاً، بل يبذل كلّ جهده للتفاهم معهم، إلاّ إذا اضطر إلى القتال اضطرارا، فخرج من المدينة محرما، واستصحب المسلمون أسلحة الراكب، وهي السيوف في القُرب، وساق معه الهَدْيَ، ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنّه إنما خرج زائراً للبيت الحرام ومُعظماً له.

لقد كان أكثرية المسلمين ومنهم كبار الصحابة مع النبيّ ﷺ، لذلك لم يستجب للذين أشاروا عليه بالتسلّح الكامل، فحمل المسلمون الذين معه أسلحة الراكب حسب.

أما المرحلة الثانية من الشورى، فهي بعد وصول المسلمين إلى عُسْفان بعد أن عرف النبيّ ﷺ أن قريشاً قدّمت خالد بن الوليد على رأس الخيل إلى كُراع الغَمِيم، فكان مجمل ما أشار عليه به أصحابه: «نمضي لوجهنا فمن صدّنا عن البيت قاتلناه»، فأخذ النبيّ ﷺ بهذا الرأي، وأمر عباد بن بشر فتقدم في خيله لحماية المسلمين، وخرج عن الطريق العام إلى طريق فرعية وعرة شديدة الوعورة، مما جعل أصحابه يكابدون المشقّات عند قطعها، ولم يكن الرسول ﷺ يهدف من الخروج عن الطريق العام إلاّ التملص من اصطدام أكيد بطلائع قريش، لأن المكوث في موقع عُسْفان يؤدي إلى اصطدام الفريقين، لاندفاع خيالة قريش أمام قواتها الأصلية واقترابها من موضع المسلمين. كما أن انسحاب قوات المسلمين باتجاه المدينة قد يؤدي إلى مطاردتهم من خيالة قريش، وفي هاتين الحالتين يحصل الاشتباك بين المسلمين والمشركين، وهو ما لا يريده الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولكن خروج النبيّ ﷺ بالمسلمين الذين كانوا معه عن الطريق العام

إلى طريق فرعية باتجاه مكة، جعل طلائع قريش تضطر إلى الإسراع بالعودة أدراجها للدفاع عن مكة، لأن المسلمين أصبحوا يهددونها تهديداً مباشراً لأنهم اصبحوا قريبين منها. ولم تكن حركة المسلمين على هذه الطريق خوفاً من قوات قريش، لأن الذي يخاف عدوه لا يقترب من قواته الأصلية ومن قاعدته(١٠٧) الرئيسية بل يحاول الابتعاد عن قاعدة العدو الرئيسة، حتى يطيل خطوط مواصلات العدو، وبذلك يزيد من صعوباته ومشاكله، ويجعل فرصة النصر أمامه أقل من حالة الاقتراب من قاعدته الرئيسة وقواته الأصلية.

فلم تكن عملية المسلمين تلك إلاّ من أجل تحقيق السّلام، مع أخذ الاحتياطات الضرورية لحماية أمن المسلمين في موقع الحُديبية، تطبيقاً للشورى التي اعتمدها النبيّ ﷺ في تلك المرحلة: المرحلة الثانية من الشورى.

بل إن التدابير الأمنية للمسلمين تصاعدت في موقع الحديبية، لأن خطر المشركين عليهم تصاعد أيضاً، فأمر النبيّ ﷺ أن يتحارسوا، وكان الرجل من المسلمين يبيت على الحرس حتى يصبح يطيف بالعسكر، وبعثت قريش خمسين رجلاً في الليل وأمروهم أن يطيفوا بالنبيّ ﷺ رجاء أن يصيبوا من المسلمين أحداً أو يصيبوا منهم غرة، فأسرهم المسلمون. وجاء جمع من قريش إلى النبيّ ﷺ وأصحابه حتى تراموا بالنبل والحجارة، وأسر المسلمون حينئذ من المشركين أسرى، وبلغ النبيّ ﷺ أن عثمان بن عفان وأصحابه الذين قصدوا مكة من المسلمين للدعوة ولزيارة أهليهم قد قُتلوا، فدعا النبيّ ﷺ الى البيعة، فبايعه المسلمون يومئذ على الموت بيعة الرضوان تحت الشجرة(١٠٨): ﴿**لقد رضي**

---

(١٠٧) القاعدة هي المنطقة التي يستند عليها الجيش قبل شروعه في العمليات الحربية.

(١٠٨) مغازي الواقدي (٢/٦٠٢).

الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾[109].

في هذا الموقف الخطير، بعد أن أصبح المسلمون بتماس شديد مع المشركين، بدأت المرحلة الثالثة من الشورى، وهي مرحلة المفاوضات، بين المسلمين من جهة والمشركين من جهة ثانية. ولم تكن هذه المرحلة سهلة، بدليل ما أبداه بعض المسلمين من تذمر على سيرها كالذي أبداه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، ولكن النبيّ ﷺ أصرّ على نياته السلمية، وكان هدفه الحيوي من هذه الغزوة واضحاً في ذهنه غاية الوضوح، لذلك قال قولته التي لا تزال ترنّ في أذن الزّمن حتى اليوم وستبقى: «**لا تدعوني قُريش اليوم إلى خُطّة فيها صِلة الرّحم إلا أعطيتهم إياها**» وكان هذا الهدف واضحاً لكبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيره، وما كان تذمّر مَنْ تذمر إلا حرصاً على عزّة الإسلام والمسلمين وكرامتهم دون أن يكون هذا الهدف الحيوي واضحاً في أذهانهم كما كان واضحاً في ذهن النبيّ ﷺ وفي أذهان الذين أقرّوا خطته السلمية الواضحة، فما كان الذين شهدوا على وثيقة المعاهدة من المسلمين وهم سبعة من كبار الصحابة وكان كاتب الوثيقة من المسلمين، إلاّ فريق مفاوضات المسلمين وأصحاب الرأي والشورى، ويكفي أن نذكر منهم: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، لنعلم منزلة أولئك الصحابة ورجاحة رأيهم ومنزلتهم بين المسلمين ومكانتهم في شورى النبيّ ﷺ.

لقد كانت الشورى هي العمود الفقري لهذه الغزوة المباركة، لذلك كانت ثمراتها أينع الثمرات في حاضر الإسلام والمسلمين ومستقبلهم[110].

---

(١٠٩) سورة الفتح، آية ١٨.

(١١٠) انظر التفاصيل في: مغازي الواقدي (٢/٥٧١-٦٣٣) وسيرة ابن هشام (٣/٣٥٥-٣٧٧) وطبقات ابن سعد (٢/٩٥-١٠٥) والبخاري (٥/١٢١) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٣٥) وعيون الأثر (٢/١١٣-١٣٠) الطبري=

وقد طبّق النبيّ ﷺ مبدأ الشورى في هذه الغزوة تطبيقاً مثالياً، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه واصفاً شورى النبيّ ﷺ في هذه الغزوة بخاصة وفي غزواته وسراياه بعامة: «فلم أرَ أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ، وكانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط»[111]، وما كانت مشاورته بالحرب فقط، بل كانت مشاورته في الحرب والسّلام، ولكن مشاورته في الحرب كانت أظهر وأشهر، لذلك ذكرت مشاوراته الحربية وسُجِّلت في بطون الكتب، أكثر مما ذكرت مشاوراته السلميّة وسجِّلت في الكتب، كما هو واضح للعيان.

٦. في غزوة خَيْبر[112]:

كانت هذه الغزوة في المحرّم سنة سبع الهجرية[113]، وقيل في شهر صفر سنة سبع الهجرية[114]، وقيل في شهر جمادى الآخرة سنة سبع الهجريّة[115]، وقد اعتمدت التوقيت الأول، لاعتماده من أكثر المصادر المعتمدة، ولأنّ هذا التوقيت هو الذي يؤيِّده سير الحوادث، إذ لا يمكن بقاء المسلمين دون جهاد حتى شهر جمادي الآخرة، أي خمسة أشهر تقريباً، بينما أمن المسلمون من أعدائهم في الجنوب إلى مكة، وبقي أعداؤهم في الشمال، وعلى رأسهم يهود خَيْبر، يتآمرون مع الأعراب على

= (٦٢٠/٢-٦٤٤) وابن الأثير (٢٠٠/٢-٢١٠) وأنساب الأشراف (٣٤٩/١-٣٥٢) والدرر (٢٠٤-٢٠٨) وجوامع السيرة (٢٠٧-٢١١) وزاد المعاد (٣٠١/٢) والامتاع (٢٧٤) وتاريخ الخميس (١٦/٢) والبداية والنهاية (١٦٤/٤-١٧٧).

(١١١) مغازي الواقدي (٥٨٠/٢).

(١١٢) خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الإسم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٩٥/٣) وطبقات ابن سعد (١٠٦/٢).

(١١٣) سيرة ابن هشام (٣٧٨/٣) وجوامع السيرة (٢١١) والدرر (٢٠٩).

(١١٤) مغازي الواقدي (٦٣٤/٢).

(١١٥) طبقات ابن سعد (١٠٦/٢).

المسلمين، وينتظرون الفرصة السانحة لتهديد المسلمين، انتقاماً ليهود بني النَّضير وبني قريظة، وتعداد مقاتليهم عشرة آلاف مقاتل[116]، فلا بد من الإسراع بقتالهم وعدم إضاعة الوقت سدى دون مسوِّغ، لأهمية الوقت بالنسبة للمسلمين ويهود على سواء، والذي يستفيد من وقته منهم، تكون له الأفضلية في إحراز النصر على عدوِّه.

ونزل النبيّ ﷺ بساحة خيبر ليلاً، فلم يتحركوا تلك الليلة، ولما أصبح الصّباح فتحوا حصونهم، وخرجوا معهم المساحي والكرازين والمكاتل[117]، لمباشرة أعمالهم في الزراعة، فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ قد نزل بساحتهم، قالوا: محمد والخميس[118]، فولّوا هاربين حتى رجعوا إلى حصونهم.

وعسكر المسلمون في منطقة قريبة من الحصون، فلما أصبح الصباح جاءه الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: «يا رسول الله صلّى الله عليك! إنّك نزلتَ منزلك هذا فإن كان عن امرٍ أُمرت به فلا نتكلّم فيه، وإن كان الرأي تكلّمنا»، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو الرأي**»، فقال: «يا رسول الله! دنوت من الحصن، ونزلت بين ظهري النّخل والنز[119]، مع أنّ أهل النَّطاة[120] لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مَدًى منهم، ولا أعدل منهم، وهم مرتفعون علينا، وهو أسرع لانحطاط نبلهم، مع أني لا آمن من بياتهم يدخلون في خمر[121] النخل. تحول يا رسول الله

---

(١١٦) مغازي الواقدي (٢/٦٣٧).

(١١٧) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد. والكرازين، جمع كرزن وهو الفأس، والمكاتل: جمع مكتل وهو الزبيل الكبير، قيل إنه يسع خمسة عشر صاعاً، انظر النهاية (٢/١٥٠) و(٤/٨ و١٤).

(١١٨) الخميس: الجيش، انظر شرح المواهب اللدنية (٢/٢٦٦).

(١١٩) النز: ما يتحلب من الأرض من الماء.

(١٢٠) النطاة: حصن بخيبر، انظر معجم البلدان (٨/٢٩٧).

(١٢١) خمر: كل ما سترك من شجر أو بناء، انظر النهاية (١/٣٢٠).

إلى موضع بريء من النز ومن الوباء، نجعل الحرة[١٢٢] بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبلهم»، فقال رسول الله ﷺ: «**نقاتلهم هذا اليوم**». ومن الواضح أن النبيّ ﷺ اقتنع بصواب رأي الحباب، ولكنه لم يبدل معسكره نهاراً لئلا يعرض أصحابه اهدافاً لسهام يهود، وآثر البقاء في موضعه ريثما يأتي المساء. ودعا رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة[١٢٣] فقال: «**انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم بريئاً من الوباء، نأمن فيه بياتهم**»، فطاف محمد حتى انتهى إلى الرجيع[١٢٤]، ثم رجع إلى

---

(١٢٢) الحرة: أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت. جمعها: حرار، انظر المعجم الوسيط (١٦٥/١).

(١٢٣) محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي: يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل أبو عبد الله، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله إلا تبوك، ومات بالمدينة ولم يستوطن غيرها، وهو الذي قتل كعب بن الأشرف مع من قتله من المسلمين. استعمله الرسول ﷺ على إحدى سراياه واستخلفه على المدينة في بعض غزواته، واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات جهينة، وكان هو صاحب العمال في أيام عمر، وكان عمر إذا شكي له عامل أرسل محمداً يكشف الحال، وهو الذي أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقته به. اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان بن عفان، واتخذ سيفاً من خشب، وقال بذلك أمرني رسول الله ﷺ. قال محمد بن مسلمة: «أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً وقال: قاتل به المشركين، فإذا اختلف المسلمون بينهم فاكسره على صخرة، ثم كن حلساً من أحلاس بيتك»، ولم يشهد من حروب الفتنة شيئاً. توفي بالمدينة سنة ست وأربعين أو سبع وأربعين، وقيل غير ذلك، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة، وكان أسمر شديد السمرة، طويلاً، أصلع، وخلف من الولد عشرة ذكور وست بنات، انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (٤٤٣/٣-٤٤٥) وأسد الغابة (٣٣٠/٤-٣٣١) والإصابة (٦٣/٦-٦٤) والاستيعاب (١٣٧٧/٣) وتهذيب الأسماء واللغات (٩٢/١) والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (٢٤١-٢٤٣) وأنساب الأشراف (٣١٥/١ و٣٥٠ و٣٦٨ و٣٧٤ و٣٧٧)، وأسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٣٢٠) وعنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة المنورة من الصحابة - مصطفى بن محمد بن عبد الله بن العلوي الرافعي - ط٣ - بيروت - ١٣٩٢هـ، وانظر كتابنا: قادة النبيّ ﷺ.

(١٢٤) الرجيع: وادٍ قرب خيبر، انظر وفاء الوفا (٣١٥/٢).

النبيّ ﷺ ليلاً فقال: «وجدت لك منزلاً»، فقال رسول الله ﷺ: «**على بركة الله**». وقاتل رسول الله ﷺ يومه ذلك إلى اللّيل يقاتل أهل النَّطاة، يقاتلها من أسفلها، وحشدت يهود يومئذ، فقال الحباب: «لو تحولت يا رسول الله!»، فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أمسينا إن شاء الله تحوّلنا**»، وجعلت نبلُ يهود تخالط عسكر المسلمين وتجاوزه، وجعل المسلمون يلقطون نبلهم ثم يردونها عليهم. فلما أمسى رسول الله ﷺ تحوّل، وأمر الناس فتحولوا إلى الرجيع فكان رسول الله ﷺ يغدو بالمسلمين على راياتهم[١٢٥].

وقال الحباب بن المنذر: «إن اليهود ترى النخل أحب إليهم من ابكار أولادهم، فاقطع نخلهم»، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل، ووقع المسلمون في قطعها حتى أسرعوا بالقطع. وجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: «يا رسول الله! إن الله عز وجل قد وعدك خيبر، وهو منجز ما وعدك، فلا تقطع النخل»، فأمر منادي رسول الله ﷺ، فنهى عن قطع النخل[١٢٦].

وكان المسلمون يوم خيبر ألفاً وأربعمائة راجل، ومائتي فارس.

وكان فتح خيبر: الأرض كلّها، وبعض الحصون عنوة، وبعضها صلحاً على الجلاء، فقسمها رسول الله ﷺ بعد أن عزل الخمس، وأقر اليهود على أن يعتملوها[١٢٧] بأموالهم وأنفسهم، ولهم النصف من كل ما يخرج منها من زرع أو ثمر، ويقرهم على ذلك ما بدا له[١٢٨].

---

(١٢٥) مغازي الواقدي (٢/٦٤٤).

(١٢٦) مغازي الواقدي (٢/٦٤٤).

(١٢٧) الاعتمال: افتعال من العمل، أي أنهم يقومون بما يحتاج إليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة وغير ذلك.

(١٢٨) انظر التفاصيل في: مغازي الواقدي (٢/٦٣٣-٧٠٥) وسيرة ابن هشام (٣/٣٧٨-٤٢٤) وطبقات ابن سعد (٢/١٠٦-١١٧) والدرر (٢٠٩-٢١٩) وجوامع =

وهكذا نجد النبيّ ﷺ يعمل بمشورة الحباب الأولى والثانية، ويأخذ بمشورة أبي بكر بعد ذلك، ويطبق مبدأ الشورى في ميدان القتال، كأحسن ما يكون التطبيق العملي لهذا المبدأ الإسلامي الحصيف المناسب لكل زمان ومكان.

٧. في غزوة حُنَيْن[١٢٩]:

كانت هذه الغزوة في شوّال من السنة الثامنة الهجرية بعد فتح مكة[١٣٠] وقد انتصر المسلمون على المشركين في هذه الغزوة كما هو معلوم وغنموا غنائم كبيرة جداً.

وانصرف النبيّ ﷺ عن الطائف حتى نزل (الجعرانة)[١٣١] فيمن معه من الناس ومعه من هوازن [١٣٢] سَبْيٌ كثير.

وأتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يدري عدته، وكان وفد هوازن قد أسلموا، فقالوا: «يا رسول الله! إنّا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك».

= السيرة (٢١١-٢١٨) وعيون الأثر (١٣٠/٢-١٤٣) وأنساب الأشراف (٣٥٢/١) والطبري (٩/٣-١٣) وابن الأثير (٢١٦/٢-٢٢٤) والبداية والنهاية (١٨١/٤-٢١٨) والنويري (٢١٧/٧) وزاد المعاد (٣٢٤/٢) والامتاع (٣٠٩) والمواهب (١٧٣/١) وتاريخ الخميس (٤٣/٢) والبخاري (١٣٠/٥).

(١٢٩) حنين: هو وادٍ قبل مدينة الطائف، بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٤/٣).

(١٣٠) طبقات ابن سعد (١٤٩/٢) وانظر سيرة ابن هشام (٦٥/٣).

(١٣١) الجعرانة: هي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، انظر معجم البلدان (١٠٩/٣).

(١٣٢) هوازن: بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، انظر جمهرة أنساب العرب (٢٦٤).

وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر[١٣٣] يقال له زهير بن صرد[١٣٤] فقال: «يا رسول الله إنّ في الحظائر[١٣٥]، عماتك وخالاتك وحواضنك[١٣٦] اللآتي كُنّ يكفلنك، ولو أنا ملحنا[١٣٧] للحارث بن أبي شمْر[١٣٨] وللنعمان بن المنذر[١٣٩]، ثم نزلا منا بمثل الذي نزلت به،

---

(١٣٣) سعد بن بكر بن هوازن: انظر جمهرة أنساب العرب (٢٦٥)، ومنهم حليمة السعدية مرضعة النبيّ ﷺ.

(١٣٤) زهير بن صرد أبو صرد السعدي: من بني سعد بن بكر، سكن الشام، قدم على النبيّ ﷺ في وفد قومه هوازن لما فرغ من حنين، ورسول الله ﷺ يومئذ بالجعرانة، وكان خطيب هوازن، فسأل النبيّ ﷺ أن يطلق سراح سبي هوازن، فاستجاب لوفد هوازن وأطلق لهم السبي، وقد روى خطبته الثلاثة: البخاري ومسلم والنسائي، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٤/٢٠٨-٢٠٩) والإصابة (٣/١٤) والاستيعاب (٢/٥٢٠-٥٢١).

(١٣٥) الحظائر: جمع حظيرة، وأصلها ما يصنع للابل والغنم ليكفها ويمنعها الانفلات.

(١٣٦) حواضنك: يريد النساء اللاتي أرضعنك، لأن حاضنة النبيّ ﷺ من بني سعد بن بكر بن هوازن، واسمها حليمة السعدية كما ذكرنا.

(١٣٧) ملحنا. أرضعنا. والملح: الرضاع، انظر ترتيب القاموس المحيط (٤/٢٤٦) ومعجم متن اللغة (٥/٣٣٨) ولو أنا ملحنا، أي لو كنا أرضعنا لهم، انظر النهاية (٤/١٠٥).

(١٣٨) الحارث بن أبي شمر الغساني: من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبيّ ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب، ومات في عام الفتح (فتح مكة سنة ثمان الهجرية= ٦٣٠م) انظر الأعلام للزركلي - ط ٢ - (٢/١٥٧).

(١٣٩) النعمان بن المنذر: هو النعمان الثالث بن المنذر الرابع بن المنذر امرىء القيس اللخمي، أبو قابوس، من اشهر ملوك الحيرة في الجاهلية وكان داهية مقداما، وهو ممدوح النابغة الذمياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي، وهو صاحب ايفاد العرب على كسرى وباقي مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يومي البؤس والنعيم، وكان أبرش أحمر الشعر قصيراً، ملك الحيرة إرثاً عن أبيه نحو سنة ٥٩٢م، وكانت تابعة للفرس، فأقره عليها كسرى أبرويز، واستمر على الحيرة إلى أن نقم عليه كسرى امرأً، فعزله ونفاه الى خانقين، فسجن فيها إلى أن مات. قيل: ألقاه تحت أرجل الفيلة، فوطئته، فهلك حوالي سنة خمس الهجرية (٦٠٨م) انظر: الأعلام للزركلي (٩/١٠)

رجونا عطفها وعائدتها[١٤٠]، وأنت خير المكفولين»، ويقال: إنه قال يومئذ: «إنما في هذه الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك وخالاتك وبنات خالاتك، وأبعدهن قريب منك. يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، إنهن حَضَنّك في حجورهن، وأرضعنك بثديهن، وتوركنك على اوراكهن، وأنت خير المكفولين»، وقال:

أُمْنُنْ علينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ	فإنك المرءُ نَرجوه وندخر
أُمْنُنْ على نسوة قد عاقها قدر	ممزق شملها في دهرها غير
أُمْنُنْ على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك مملوءة من محضها الدرر[١٤١]
اللاءِ إذ كنت طفلا كنت ترضعها	وإذ يرنيك ما تأتي وما تذر
ألاّ تداركها نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حتى حين يختبر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته[١٤٢]	واستبق منا فانا معشر زهر
إنا لنشكر آلاءً وإن قدمت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فقال رسول الله ﷺ: «إنّ أحسن الحديث أصدقه، وعندي من ترون من المسلمين، فأبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟»، قالوا: «يا رسول الله! خيّرتنا بين أحسابنا وبين أموالنا، وما كنّا نَعدِل بالأحساب شيئا، فرد علينا أبناءنا ونساءنا» فقال النبيّ ﷺ: «أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وأسأل لكم الناس. وإذا صليت الظهر بالناس فقولوا إنا لنستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله! فإني سأقول لكم: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وسأطلب لكم إلى الناس».

---

(١٤٠) العائدة: الفضل انظر شرح أبي ذر (٤١١).
(١٤١) الدّرر: الدفعات الكثيرة من اللبن، انظر السيرة الحلبية (٢/٢٥٠).
(١٤٢) أي تفرقت كلمتهم، أو ذهب عزهم، انظر القاموس المحيط (٢/٤٠٤).

ولما صلّى رسول الله ﷺ الظهر بالناس، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم رسول الله ﷺ، فقالوا: «إنّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله!»، فقال رسول الله ﷺ: **«أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»**، فقال المهاجرون: «فما كان لنا، فهو لرسول الله!»، وقالت الأنصار: «ما كان لنا فهو لرسول الله!». قال الأقرع ابن حابس[١٤٣]: «أما أنا وبنو تميم، فلا!»، وقال عيينة بن حصن: «أما أنا وفزارة، فلا!»، وقال عباس بن مرداس السلمي[١٤٤]: «أما أنا وبنو سليم، فلا!»، فقالت بنو سليم: «ما كان لنا، فهو لرسول الله!»، فقال العباس: «وهنتموني!»[١٤٥].

(١٤٣) الأقرع بن حابس التميمي: قدم على رسول الله ﷺ مع وفد تميم بعد فتح مكة، وكان قد شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنين والطائف، فلما قدم وفد تميم كان معهم، فقالوا لرسول الله ﷺ: «جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك»، فقال: **«ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا، لكن هاتوا»**، فقام خطيب تميم وقام خطيب المسلمين، ثم قام شاعر تميم، وقام شاعر المسلمين حسان بن ثابت، فقال الأقرع: «تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتاً وأحسن قولا»، ثم دنا إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه. شهد مع خالد بن الوليد فتح الأنبار وحرب العراق، وكان على مقدمة خالد، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، استعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (١/١٠٧-١١٠) والإصابة (١/٥٨-٥٩) والاستيعاب (١/١٠٣).

(١٤٤) عباس بن مرداس السلمي: يكنى أبا الهيثم وقيل أبو الفضل، أسلم قبل فتح مكة بيسير، وكان من المؤلفة قلوبهم وممن حسن إسلامهم منهم، وقدم على رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب من قومه فأسلموا وأسلم قومه وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية. نزل البادية بناحية البصرة، وقيل إنه قدم وابتنى بها داراً»، ولما حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، قيل له: ألا تأخذ من الشراب، فإنه يزيد في قوتك وجرأتك، قال: «لا أصبح سيد قومي، وأمسي سفيهها، لا والله لا يدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي أبداً»، انظر سيرته المفصلة في: أسد الغابة (٣/١١٢-١١٤) والإصابة (٤/٣١) والاستيعاب (٢/٨١٧-٨٢٠) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٥٨-٢٧١) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢٥٩).

(١٤٥) وهنتموني: أضعفتموني. انظر الصحاح (٢٢١٦).

ثم قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً، فقال: «إنّ هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بهم فخيّرتهم بين النساء والأبناء والأموال، فلم يَعدِلوا بالنساء والأبناء، فمن كان عنده منهنّ شيء فطابت نفسه أن يردّه، فليُرسل، ومَنْ أبى منكم وتمسّك بحقّه فلْيَرُد عليهم، وليكن فرضاً علينا ست فرائض من أوّل ما يُفِيء الله به علينا». «قالوا: يا رسول الله! رضينا وسَلَّمنا»(١٤٦).

وهكذا استشار النبيّ ﷺ أصحابه بصورة غير مباشرة وحصيفة جداً، في رَدِّ سبي هوازن إلى أهليهم، دون ضغط ولا إكراه، بل بالمثال الشخصي، إذ بادر بالتنازل عما بين يديه وأيدي بني المطلب من السبي، فما كان من المسلمين إلا الاقتداء به والسّير على منواله وإعادة السبي إلى هوازن إكراماً لرسول الله ﷺ، وتنفيذاً لرغبته في العفو والتسامح وإصلاح ذات البين وتصفية القلوب من الضّغائن والأحقاد، وتوجيه المغلوبين إلى اعتناق الإسلام.

وتطبيق الشّورى بهذا الأسلوب المبتكر، يدعو إلى التقدير والاعجاب، فهو قد عرض الحلّ الذي يريده لخير المسلمين وهوازن، الغالبين والمغلوبين، لجمع الصفوف وتوحيدها، ونشر الإسلام بالحُسنى، وإزالة آثار الحرب المادية والمعنوية، حتى لا تبقى الأحقاد وتتصاعد، وتزول الضغائن من النفوس؛ فاستجاب المسلمون القُدامى لهذا الحلّ

(١٤٦) انظر غزو حنين في: (٣/٨٨٥-٩٢٢) و(٣/٩٤٩-٩٦٠) وسيرة ابن هشام (٤/٦٥-١٢٢) و(٤/١٣٤-١٣٧) وطبقات ابن سعد (٢/١٤٩-١٥٧) وعيون الاثر (٢/١٨٧-١٩٩) والبداية والنهاية (٤/٣٢٢-٣٤٤) و(٤/٣٥٢-٣٦٠) والدرر (٢٣٧-٢٤٢) وجوامع السيرة (٢٣٦-٢٤٢) وزاد المعاد (٢/٤٣٨) والامتاع (٤٠١) والمواهب (١/٢٠٨) وتاريخ الخميس (٢/٩٩) والبخاري (٥/١٥٣) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١١٣) والطبري (٣/٧٠-٨٢) و(٣/٨٦-٩٤) وابن الأثير (٢/٢٦١-٢٦٦) و(٢/٢٦٨-٢٧٣).

ورحّبوا به، ولم يستجب له بعض المسلمين الجُدد، الذين أسلموا بعد فتح مكّة، ولم يرسخ الإسلام في قلوبهم وعقولهم بَعْدُ، فعرض النبيّ ﷺ على الذين لم يستجيبوا للحلّ الذي عرضه تعويضاً مادياً يرضيهم، فاستجاب المسلمون جميعاً للحل المقترح.

وتعلّم المسلمون أسلوباً فريداً في الشورى، ما أحراهم أن يطبقوه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

٨. في غزوة الطائف:

وكانت غزوة الطائف في شوّال من سنة ثمان الهجريّة[١٤٧]:

أ. مضى رسول الله ﷺ، حتى نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك، فقُتل ناس من المسلمين بالنَّبْل المصوّبة عليهم من داخل الطّائف، دون أن يقدر المسلمون على دخول الطائف التي أغلق منافذها المشركون ودافعوا عن حصونها[١٤٨] دفاعاً مستميتاً. وجاء الحُباب بن المُنْذر إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله! إنا قد دنونا من الحِصْن فإن كان عن أمرٍ سلّمنا، وإن كان عن الرأي فالتاخّر عن حصنهم»، فسكت النبيّ ﷺ.

وكان عمرو بن أميّة الضَّمْريّ[١٤٩] يقول: «لقد طلع علينا من نَبْلِهم

---

(١٤٧) طبقات ابن سعد (٢/١٥٨).

(١٤٨) سيرة ابن هشام (٤/١٢٧).

(١٤٩) عمرو بن أمية الضمري: يكنى أبا كنانة، بعثه النبيّ ﷺ وحده عينا على قريش، فحمل خبيب بن عدي من الخشبة التي صلب عليها، وكان خبيب قد أسره المشركون غدراً، فابعوه لقريش، فصلبته انتقاماً لقتلاها في بدر. وأرسله النبيّ ﷺ إلى النجاشي سفيراً، فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان. أسلم قديما وهو من مهاجرة الحبشة ثم هاجر إلى المدينة، وأول مشاهده بئر معونة. شهد بدراً وأُحداً مع المشركين، وأسلم حين انصرف المشركون من أحد، حسب إحدى الروايات. وكان رسول الله ﷺ يبعثه في أموره، وكان من أنجاد العرب ورجالها نجدة وجراءة. =

ساعة نزلنا شيء الله به عليم، كأنّه رِجْل[150] من جراد - وترّسنا لهم - حتى أُصيب ناس من المسلمين بجراحة »، ودعا رسول الله ﷺ الحُباب فقال: « انظرْ مكاناً مرتفعاً مستأخراً عن القوم »، فخرج الحُباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف خارج من القرية، فجاءَ إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحوّلوا. قال عمرو بن أُميّة: « إني لأنظر إلى أبي محجن[151] يرمي من فوق الحصن

= أرسله النبيّ ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام سنة ستة الهجرية، وكتب على يده كتاباً، فأسلم النجاشي وأمره أن يزوجه أم حبيبة ويرسلها ويرسل من عنده من المسلمين. روى عنه اولاده جعفر والفضل وعبد الله وابن اخيه الزبرقان بن عبد الله ابن أمية، وهو معدود من أهل الحجاز وتوفي آخر أيام معاوية بن أبي سفيان قبل سنة ستين الهجرية، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٤/٨٦) والإصابة (٦/٢٨٥) والاستيعاب (٣/١١٦٢-١١٦٣) وانظر تفصيل سيرته في كتابنا سفراء النبي ﷺ.

(١٥٠) رجل: كثير، انظر النهاية (٢/٧٠).

(١٥١) أبو محجن الثقفي: اسمه عمرو بن حبيب، وقيل مالك بن حبيب، وقيل عبد الله بن حبيب، وقيل اسمه كنيته، أسلم حين أسلمت ثقيف سنة تسع الهجرية في رمضان. كان شاعراً حسن الشعر، ومن الشجعان المشهورين بالشجاعة في الجاهلية والإسلام، وكان جواداً كريماً إلا أنه كان منهمكاً في الشرب لا يتركه خوف حد أو لوم، وجلده عمر بن الخطاب مراراً ونفاه إلى جزيرة في البحر، وبعث معه رجلاً، فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب عمر إلى سعد ليحبسه، فحبسه. ولما كان بعض أيام القادسية وأشتد القتال بين الفريقين، سأل أبو محجن امرأة سعد أن تحل قيده وتعطيه فرس سعد البلقاء، وعاهدها أنه إن سلم عاد إلى حاله من القيد والسجن، وإن استشهد فلا تبعة عليه، فلم تفعل فقال:

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا ... واترك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع دوني قد تصم المناديا
فلله عهد لا أخيس بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فلما سمعت سلمى امرأة سعد ذلك رقت له، فخلت سبيله وأعطته الفرس، فقاتل قتالاً عظيماً، وكان يكبر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد، وكان يقصف الناس قصفاً منكراً، فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه. ورآه سعد فقال: « لولا أن أبا محجن محبوس لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء تحته »، فلما تراجع الناس عن=

بعشرته[١٥٢] بمعابل[١٥٣] كأنها الرِّماح، ما يسقط له سهم»، واستقر معسكر المسلمين عند مسجد الطائف اليوم[١٥٤]، فأصبحوا خارج تأثير الرّمي المباشر للمشركين من داخل الطّائف على المسلمين، وأصبحوا في منطقة أمينة بفضل تطبيق النبيّ ﷺ لمشورة الحُباب التي أبداها، فأمر الحُباب باختيار المعسكر الأمين للمسلمين، وانتقلوا إليه من معسكرهم الأول الذي كان ضمن رمي المشركين وضمن رصدهم القريب الى معسكرهم الجديد البعيد عن رمي أهل الطائف ورصدهم.

ب. واشتدّت مقاومة المشركين في الطّائف، وكانوا مقاتلين من الطراز الأول، وطال حصار الطّائف، وبدا أنّ استسلامها للمسلمين ليس سهلاً وليس وشيكا.

وشاور رسول الله ﷺ أصحابه، فقال له سلمان الفارسيّ: «يا رسول الله: أرى أن تنصب المَنْجِيْق[١٥٥] على حصنهم، فانا كنّا بأرض فارس ننصب المنجيقات على الحصون وتُنصب علينا، فنُصيب من عدوِّنا ويصيب منّا بالمنجنيق، وإن لم يكن المنجنيق طال الثّواء»[١٥٦]، فأمره رسول الله ﷺ فعمل مَنْجَنيقاً بيده، فنصبه على حصن الطّائف، ويقال

= القتال عاد إلى القصر وأدخل رجليه في القيد، فأعلمت سلمى سعداً خبر أبي محجن فقال: «اذهب لا أحدك أبداً»، فتاب أبو محجن فقال: «كنت آنف أن أتركها من أجل الحد، واليوم أتركها خوف الله»، وقد مات مجاهداً بجرجان، وقيل بأذربيجان، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٥/٢٩٠-٢٩٢) والإصابة (٧/١٧٠-١٧٢) والاستيعاب (٤/١٧٤٦-١٧٥١).

(١٥٢) العشرة الصحبة، انظر النهاية (٣/٩٨).

(١٥٣) المعابل: نصال طوال عراض، الواحدة معبلة، انظر النهاية (٣/٦٣).

(١٥٤) مغازي الواقدي (٣/٩٢٥-٩٢٦).

(١٥٥) المنجنيق: آلة حربية تستعمل لهدم الأسوار والحصون، فهو يشبه مدفعية الميدان في هذا الوقت، انظر النفاصيل في: الفن الحربي في صدر الإسلام - عبد الرؤوف عون - (١٥٦-١٦٧) القاهرة ١٩٦١ م.

(١٥٦) الثّواء: الاقامة. انظر شرح المواهب اللدنية (٣/٣٧).

قدم بالمنجنيق غيره[157]، وهذا ما أرجّحه، لأن صناعة المنجنيق تحتاج الى وقت طويل قد لا يتيسّر في المعركة، في وقت يكون المسلمون بحاجة ماسة لاستخدامه، فرمى رسول الله ﷺ حصن الطائف بالمنجنيق، فكان أوّل مَنْ رمى في الإسلام بالمنجنيق، رمى أهل الطّائف. ودخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت الدّبابة[158]، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَحْرِقوه فأرسلت عليهم ثَقِيْف سكَكَ الحديد محماةً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنّبل، فقتلوا منهم رجالا[159].

وهكذا استشار النبيّ ﷺ أصحابه في أسلوب التعجيل باستسلام الطّائف وتقصير أمد الحصار، وأخذ برأي سلمان الفارسيّ باستعمال المنجنيق والأسلحة المتطوِّرة الأخرى بالنسبة للمسلمين في حينه ولذلك العصر قبل خمسة عشر قرنا.

جـ- ولما مضت خمس عشرة ليلة من حصار المسلمين للطّائف، استشار رسول الله ﷺ نَوْفَل بن معاوية الدِّيلي[160]، فقال: «**يا نوفل! ما تقول؟ أو ترى؟**»، فقال: «يا رسول الله! ثعلب في حجر، إن أقمت

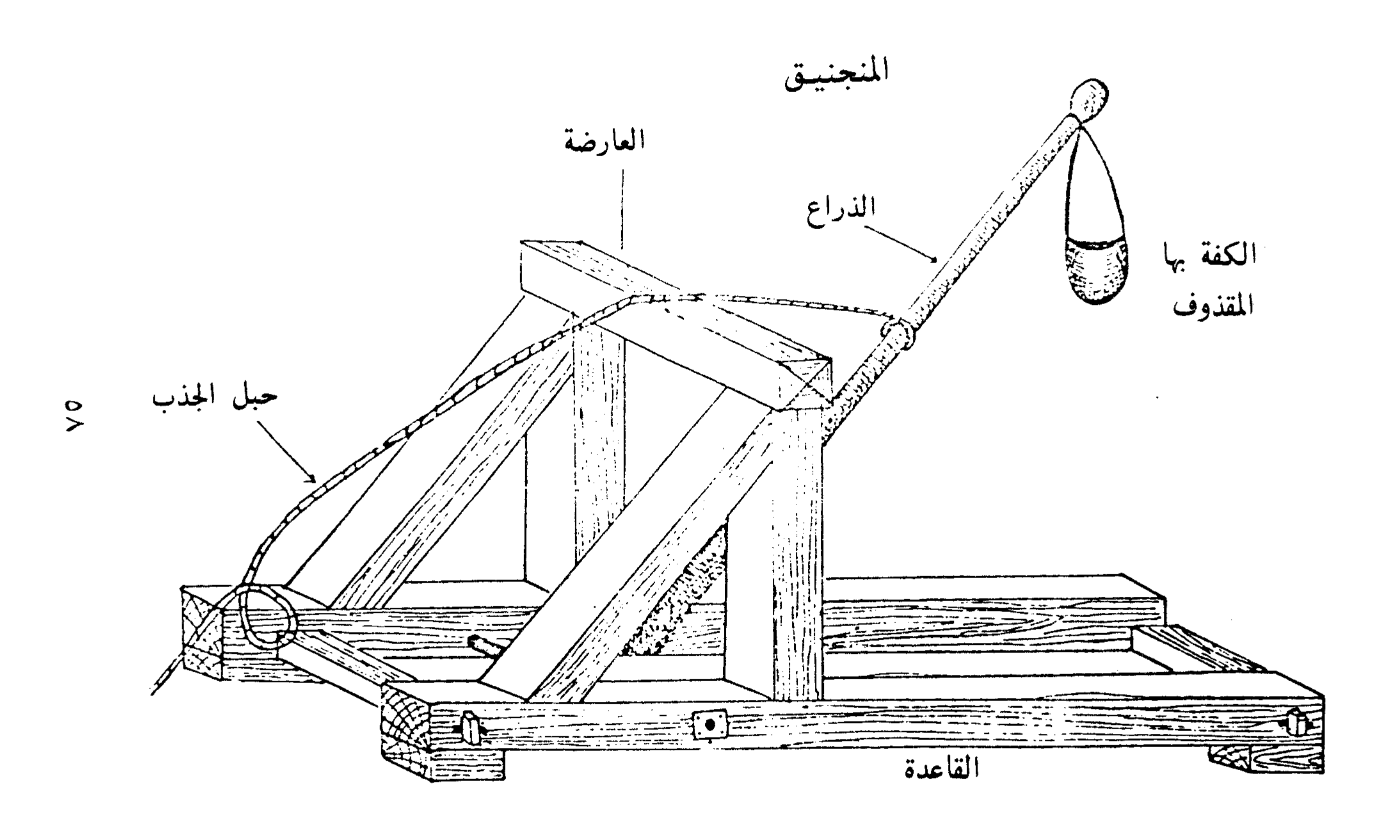
---

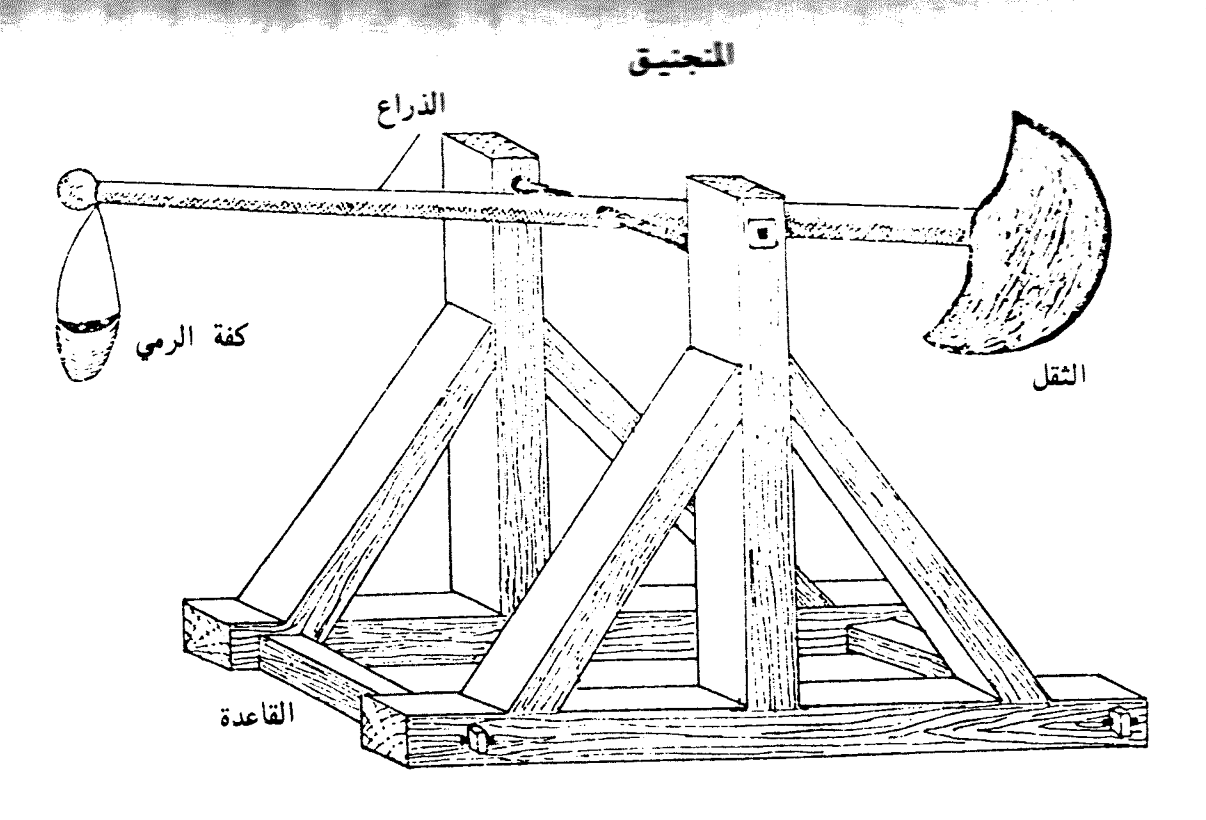
(157) مغازي الواقدي (٣/٩٢٧).

(158) سيرة ابن هشام (٤/١٢٨)، والدبابة: آلة حربية تتخذ لهدم الحصون، يدخل فيها الرجال لحمياتهم.

(159) مغازي الواقدي (٣/٩٢٨) وسيرة ابن هشام (٤/١٢٨).

(160) نوفل بن معاوية: كان معاوية على الديل يوم الفجار، وهم بنو الديل بن بكر بن مناة ابن كنانة، اسلم نوفل وشهد مع النبي ﷺ فتح مكة وهو أول مشاهده، ونزل المدينة المنورة، حتى توفي أيام يزيد بن معاوية. حدث عن النبي ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ترك الصلاة، كأنما وتر أهله وماله»، أخرجه الثلاثة: البخاري ومسلم والنسائي، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٥/٤٧) والاصابة (٦/٢٥٨ - ٢٥٩) والاستيعاب (٤/١٥١٣). وانظر أنساب العرب (١/٣٣٣) والطبري (٣/٨٤) وابن الأثير (٢/٢٦٧) وعيون الأثر (٢/٢٠١) وطبقات ابن سعد (٢/١٥٩).


المنجنيق
العارضة
الذراع
الكفة بها
المقذوف
حبل الجذب
القاعدة


المنجنيق
الذراع
كفة الرمي
الثقل
القاعدة

عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك شيئاً»، فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فأذن بهِ في الناس بالرحيل[١٦١] وجعل المسلمون يتكلمون، يمشي بعضهم إلى بعض، فقالوا: لا نبرح حتى يفتح الله علينا، والله إنهم لأذل وأقل من لاقينا، قد لقينا جمع مكة وجمع هوازن، ففرق الله تلك الجموع.

وانّما هؤلاء في حجر، لو حصرناهم لماتوا ي حصنهم هذا. وكثر القول والاختلاف، فمشوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلم يؤيدهم فيما ذهبوا إليه، ومشوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلم يتفق معهم في شيء، وجعل الناس يضجون في ذلك. فلما رأى النبي ﷺ حماسة المسلمين وحرصهم الشديد على القتال، واصرارهم على فتح الطائف وعدم الانسحاب عنها قبل فتحها، قال: «**فأغدوا على القتال**» وغدوا على القتال، فأصابت المسلمين جراحات فقال رسول الله ﷺ: «**إنا قافلون إن شاء الله**» فسر المسلمون بذلك وأذعنوا[١٦٢] وجعلوا يرحلون والنبي ﷺ يضحك[١٦٣].

وانتهت غزوة الطائف بانسحاب المسلمين إلى قواعدهم دون أن يفتحوا تلك المدينة، ولكنهم استطاعوا فتح قلوب أبنائها، فأسرعوا إلى اعتناق الاسلام[١٦٤].

---

(١٦١) مغازي الواقدي (٣/٩٣٧).

(١٦٢) أذعن: أسرع في الطاعة، انظر القاموس المحيط (٤/٢٢٥).

(١٦٣) مغازي الواقدي (٣/٩٣٦ - ٩٣٧).

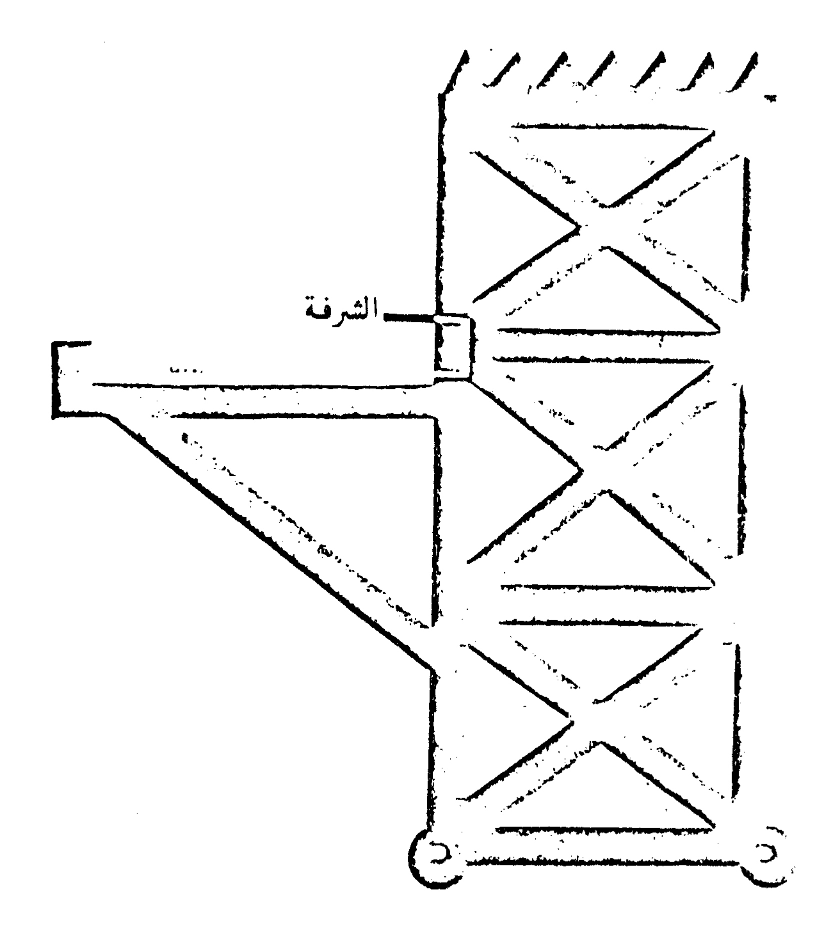
(١٦٤) انظر تفاصيل غزوة الطائف في: مغازي الواقدي (٣/٩٢٢ - ٩٣٨) وطبقات ابن سعد (٢/١٥٨ - ١٦٠) وسيرة ابن هشام (٤/١٢٢ - ١٣٢) والدرر (٢٤٣-٢٤٤) وجوامع السيرة (٢٤٢ - ٢٤٤) وعيون الأثر (٢/٢٠٠ - ٢٠٣) وأنساب الأشراف (١/٣٦٦-٣٦٨) والطبري (٣/٨٢ - ٨٥) وابن الأثير (٢/٢٦٦-٢٦٨) والبداية والنهاية (٤/٣٤٥-٣٥٢) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٢/١٢٢) والبخاري (٥/١٦٥) وسنن أبي داود (٢/٢٨) وزاد المعاد (٢/٤٦١) والامتاع (٤١٥) والمواهب (١/٢١٤) وتاريخ الخميس (٢/١٠٩).

ولعلّ روعة تطبيق مبدأ الشورى الإسلامي في هذه الصفحة القتالية من صفحات غزوة حصار الطائف، لا يمكن أن تخفى على أحد، فقد نفذ النبي ﷺ ما أشار به عليه الصحابي الجليل نوفل بن معاوية الدّيلي، لأنه اقتنع برأيه السديد اقتناعاً كاملا، إذ أن اسلام أهل الطائف لم يعد موضع شك أحد من الناس، لأن الناس حول الطائف شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً قد دخلوا في دين الله أفواجاً، فليس من المعقول ولا من المنطق أن يبقى أهل الطائف وحدهم مشركين وقد أصبحوا كالشعرة البيضاء، المنفردة في الشعر الأسود الكثيف، لذلك أصبح أمر اسلامهم أمراً مضموناً لا يحتاج إلا إلى الوقت الذي لن يطول، لهذا فإن بقاء المسلمين في حصار الطائف لا مسوغ له، والوقت الذي ينفق فيه يذهب عبثاً ولا يساوي الخسائر في أرواح المسلمين، كما أن النبي ﷺ كان بحاجة ماسة إلى الوقت، وكان وقته يومئذ ثمينا لا ينبغي تبديده سُدى، فغنائم غزوة حنين لا تزال باقية، وعيال هوازن وأبنائهم لا تزال باقية لم يُبت في أمرهم، ومشاكل هوازن وقبائل المنطقة تنتظر الحل، ومشاكل مكة بعد فتحها لا تزال بحاجة إلى مزيد من المعالجات، وأمر المسلمين في كل مكان وشؤون الدعوة إلى الله بحاجة إلى العمل الدائب المستمر، والمدينة قاعدة الإسلام الرئيسة طال غياب النبي ﷺ عنها، كل هذه الأعمال المهمة بحاجة إلى الوقت الذي لا ينبغي أن يصرف في الحصار دون جدوى ولا مسوغ، لذلك أخذ النبي ﷺ برأي نوفل وأمر بفك الحصار عن الطائف والعودة وفكّ الحصار.

ولكنه عليه الصلاة والسلام، لم يكد يلمس ما أظهرته الأكثرية من المسلمين المحاصرين للطائف من حرص شديد على استمرارهم في الحصار، وإصرار بالغ على استسلام أهل الطائف، يؤجج هذا الاصرار والحرص حماستهم العظيمة لعقيدتهم الجديدة، واخلاصهم النادر لها، إلا واستجاب لما أرادوا باعتبارهم الأغلبية من المسلمين، أبدوا رغبتهم في الاستمرار

على حصار الطائف على أن كبار الصحابة وذوي الرأي منهم وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما لم يكونوا مع هذه الأغلبية في رغبتهم في الاستمرار على حصار الطائف، بل كانوا مع النبي في العودة من الطائف وفك الحصار عنها، وكانت استجابة النبي ﷺ لرغبة الأغلبية تطبيقاً عملياً لمبدأ الشورى الإسلامي في أكمل صورة وأجملها وأقومها. فما كان عليه الصلاة والسلام يريد أن يتخلى عن تطبيق هذا المبدأ حتى في حالة تناقضه مع رأيه الصريح الواضح المقنع، وكان عليه الصلاة والسلام واثقا من أن الرأي السديد يفرض نفسه ولو بعد حين، والمعترضين عليه يفرضونه على أنفسهم بأنفسهم بعد أن يتبدد اعتراضهم بمواجهة الواقع كما يتبدد الظلام بالنور، وحينذاك يكون هذا الرأي السديد من صنع الجميع لا من صنع الفرد أو الأفراد، ويتبناه الجميع عن طيبة خاطر لا عن طريق الأمر أو الفرض أو الاكراه.

وهذا ما حدث فعلاً في هذه الصفحة من صفحات القتال، فحين اقتنع النبي ﷺ برأي نوفل بن معاوية الحصيف وأراد أن يُقره، ضج في ذلك أكثر المسلمين المحاصرين للطائف، فقال النبي ﷺ: «**فاغدوا على القتال**»، فغدوا على القتال فأصابتهم جراحات دون جدوى، فاقتنعوا أنهم على خطأ، وأن الانسحاب هو الصواب، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنا قافلون إن شاء الله**» فسر المسلمون بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون والنبي ﷺ يضحك، فرحاً بنجاح الشورى، واجماع المسلمين على رأي واحد دون خلاف أو اختلاف.



الدبابة

٩ . في غزوة تبوك[١٦٥]:

أ . كانت هذه الغزوة في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية ثم أمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم[١٦٦] وذلك في حر شديد، حين طاب أول الثمر، وفي عام جدب.

وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يغزو إلى وجهة إلا ورى بغيره، إلا غزوة تبوك، فإنه صلى الله عليه وسلم بيّنها للناس، لمشقة الحال فيها، وبُعد الشقة، وقوة العدو المقصود.

فقد بلغ رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وإن هرقل قيصر الروم قد رزق أصحابه لسنة، واجلب معه لخم وجذام وعاملة وغسان، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء[١٦٧] فندب رسول الله ﷺ الناس إلى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم، وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقات كثيرة[١٦٨].

وأنفق ناس كثير من المسلمين واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه نفقه عظيمة، روي أنه حمل في هذه الغزوة على تسعمائة

---

(١٦٥) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام. وهو حصن به عين ونخل، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٥/٢)، وتبوك بلد معروف في السعودية.

(١٦٦) سيرة ابن هشام (١٦٩/٤) وجوامع السيرة (٢٤٩) والدرر (٢٥٣) وطبقات ابن سعد (١٦٥/٢).

(١٦٧) البلقاء: كورة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/٢)، وهي مقاطعة أردنية في الوقت الحاضر، تشمل على لواء عمان ولواء السلط، والأخير يشمل على قضاء السلط وقضاء مادبا.

(١٦٨) مغازي الواقدي (٩٩٠/٣ - ٩٩١).

بعير، ومائة فرس، وجهز ركابها، حتى لم يفقدوا عقالاً ولا شكالا[169]، وروي أيضاً أنه أنفق فيها ألف دينار[170].

وأمر رسول الله ﷺ كلّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية، ومضى لوجهه يسير بأصحابه، حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس، وعشرة آلاف فرس، فأقام بها عشرين ليلة، وهرقل يومئذ بحمص[171].

ويبدو أن أخبار حشود الروم على المسلمين، كانت أخباراً غير دقيقة ومبالغا فيها، إذ أن هرقل كان في موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف، وكان الذي خُبر به النبي ﷺ من بعثته أصحابه، ودنوه إلى الشام - باطلا، لم يرد ذلك ولم يُهم به[172].

وشاور رسول الله ﷺ أصحابه في التقدم شمالاً من تبوك، فقال عمر ابن الخطاب رضي الله: «إن كنت أمرت بالمسير فسر!» قال رسول الله ﷺ: «**لو أمرت به ما استشرتكم فيه!**» فقال عمر: «يا رسول الله! فإن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام وقد دنوت منهم حيث ترى، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله عز وجل لك في ذلك أمراً»[173].

وأخذ النبي ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب، فلم يتجاوز تبوك[174]،

---

(169) العقال: حبل يثنى به وظيف الجمل مع ذراعه ويشدان جميعاً في وسط الذراع. والشكال: العقال أيضاً، تشتد به قوائم الدابة، فتوثق بين اليد والرجل، أو هو خيط في الرحل نفسه.

(170) الدرر (253) وجوامع السيرة (250).

(171) طبقات ابن سعد (166/2) وانظر مغازي الواقدي (996/3)، وحمص: مدينة سورية كبيرة معروفة، انظر التفاصيل عنها في معجم البلدان (339/3 - 342).

(172) مغازي الواقدي (1019/3).

(173) مغازي الواقدي (1019/3).

(174) جوامع السيرة (253) والدرر (257).

وانصرف من تبوك ولم يلق كيداً، وقدم المدينة في شهر رمضان سنة تسع الهجرية[١٧٥].

وقد كان الأنباط[١٧٦] يقدمون المدينة بالحبوب والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الاسلام، وكانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم، لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، فقدمت قادمة ذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وزحفوا وقدّموا مقدماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها، تخلف هرقل بحمص. ولم يكن ذلك، انما ذلك شيء قيل لهم، فقالوه[١٧٧]. فما كان من النبي ﷺ، إلا أن أعد لغزوة تبوك ونفذها، لأن النبي ﷺ حين علم بحشود الروم على حدودهم الجنوبية وحدود المسلمين الشمالية، قرر أن يتصدى لهم، باعتبار أن هذا الحشد الروماني من القضايا المصيرية التي تؤثر في مصير الاسلام والمسلمين، ومثل تلك القضايا، يدخل في الحساب أسوأ الاحتمالات عند اعطاء القرار لمعالجتها، فكان قرار النبي ﷺ أن يتصدى للروم هو القرار السليم فلو أن الروم حشدوا جموعهم حقا وتعرضوا بالمسلمين في عقر دارهم، ولم يتخذ النبي ﷺ التدابير الضرورية للتعرض بهم قبل أن

---

(١٧٥) طبقات ابن سعد (١٦٧/٢) وجوامع السيرة (٢٥٥).

(١٧٦) الأنباط: شعب عربي قديم، كان يعيش في الأقليم الصحراوي الذي يمتد ما بين شبه جزيرة سيناء وحوران، وكان للانباط حضارة ما زالت آثارها تتمثل في أطلال مدينة بطرا أو البتراء ما بين الشوبك ومعان في الأردن المعاصرة، وكانت بطرا مركزاً لتجارة القوافل بين مصر والجزيرة العربية والشام، وعاصر الأنباط الروم واشتركوا في الحروب التي دارت في المنطقة بين الروم والفرس وعند ظهور الاسلام كانت بقاياهم موجودة فاختلطت بغيرها من شعوب المنطقة كالسريان والآراميين، وللانباط كتابة خاصة تعرف بالخط النبطي، وهو يشبه الخط الحميري، انظر: القاموس الاسلامي أحمد عطية الله (١٩٣/١) القاهرة ١٣٨٣ هـ.

(١٧٧) مغازي الواقدي (٩٩٠/٣) وأراد بتعبير: «ولم يكن ذلك»، أي لم يحدث ذلك، أو لم يقع ذلك.

يتعرضوا بالمسلمين، لكانت نتائج تعرض الروم بالمسلمين دون استعداد المسلمين لهم وخيمة جدا من الناحيتين المادية والمعنوية. ومع ذلك فقد انتصر المسلمون معنوياً انتصاراً لا يقل أهمية عن الانتصار المادي في القتال، كما استطلعوا المنطقة استطلاعاً جيداً، وتعرفوا على أهلها، وعقدوا العهود والمواثيق مع قسم منهم، وترامت أخبار حشود المسلمين في غزوة تبوك إلى الروم، فقالوا: لو لم يكونوا أقوياء لما تعرضوا بحدودنا الجنوبية دون خوف أو تردد، كما أثرت هذه الغزوة في القبائل العربية التي في تلك البقاع، مما كان له أثر في الفتوح التي جرت بعد أربع سنين في معركة اليرموك.

لقد فتحت غزوة تبوك سنة تسع الهجرية قلوب الروم وحلفائهم العرب في بلاد الشام وفتحت معركة اليرموك الحاسمة سنة ثلاث عشرة الهجرية أبواب الروم وحلفائهم العرب في بلاد الشام، وكانت غزوة تبوك تمهيداً لمعركة اليرموك وفتح الشام.

ويبدو أن الأنباط، رأوا حشود هرقل الذي حكم من سنة (٦١٠-٦٤١م) وعاصر النبي ﷺ وكانت الكنيسة تعضده بحرارة في حربه لعباد النار من الفرس، تلك الحرب التي توغل فيها إلى قلب فارس، وكانت تلك الحملات في نظره عملا دينياً، وكان للدين طيلة حكمه المنزلة الأولى[١٧٨]. ولم تكن حشود هرقل تلك حشود حرب في واقعها، بل كانت حشوداً للاحتفال بعودة الصليب الأعظم الذي كان قد غنمه الفرس، ثم استعاده هرقل منهم، إلى بيت المقدس، مع ما يرافق ذلك الاحتفال من حشود مدنية وعسكرية في موكب الامبراطور تبدو في مظهرها حشوداً عسكرية للروم تنحدر نحو حدودهم الجنوبية وحدود المسلمين الشمالية.

---

(١٧٨) نورمان بينز الامبراطورية البيزنطية تعريب حسين مؤنس ومحمد يوسف رابد (٥٢) ط ٢ - القاهرة - ١٩٥٧م.

وقد كان جواب النبي ﷺ: «**لو أمرت به ما استشرتكم فيه**»، لتساؤل عمر بن الخطاب: «إن كنت أمرت بالمسير، فسر». جواباً واضحاً صريحاً، يحدد نطاق الشورى العسكرية وغير العسكرية التي يجب أن تجرى فيها الشورى، وهذا النطاق يكون في الأمور الدنيوية والدينية التي ليس مدارها على الوحي والتي لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة.

ب. ولما أجمع النبي ﷺ المسير من تبوك إلى المدينة المنورة، أرمل[١٧٩] الناس أرمالاً شديداً، فشخص[١٨٠] على ذلك الحال حتى جاء الناس إلى رسول الله ﷺ يستأذنوه أن ينحروا ركابهم فيأكلوها، فأذن لهم، ولقيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهم على نحرها، فأمرهم أن يمسكوا عن نحرها، ثم دخل على رسول الله ﷺ في خيمة له، فقال: «أذنت للناس في نحر حمولتهم يأكلونها؟» فقال رسول الله ﷺ: «**شكوا إلي ما بلغ منهم الجوع، فأذنت لهم، بنحر الرفقة البعير والبعيرين، ويتعاقبون فيما فضل من ظهرهم، وهم قافلون إلى أهليهم**» فقال: «يا رسول الله! لا تفعل فإن يكن للناس فضل من ظهرهم يكن خيراً، فالظهر اليوم رقاق[١٨١] ولكن ادع بفضل أزوادهم ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حيث أرملنا، فإن الله عز وجل يستجيب لك». ونادى منادي رسول الله ﷺ:: «من كان عنده فضل من زاد فليأت به!» وأمر بالانطاع[١٨٢] فبسطت فجعل الرجل يأتي بالمد[١٨٣] الدقيق والسويق والتمر، والقبضة من الدقيق والسويق

---

(١٧٩) أرمل فلان: نفد زاده وافتقر، انظر المعجم الوسيط (١/٣٧٤).

(١٨٠) شخص من بلده أو عنه: خرج، أو إليه: رجع، انظر المعجم الوسيط (١/٤٧٥).

(١٨١) رقاق: جمع رقيق، أي ضعيف، انظر لسان العرب (١١/٤١٢).

(١٨٢) الأنطاع: جمع نَطْع، نَطِع، نَطَع، بساط من الجلد، انظر المعجم الوسيط (٢/٩٣٠).

(١٨٣) المدّ: مكيال قديم، اختلف الفقهاء في تقديره بالكيل، فقدره الشافعية بنصف قدح، وقدره المالكية بنحو ذلك، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز، وعند أهل العراق رطلان. انظر المعجم الوسيط (٢/٨٥٨).

والتمر والكسر، فيوضع كل صنف من ذلك على حدة، فكان جميع ما جاءوا به من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفراق(١٨٤) حزراً، فدعا النبي ﷺ أن يبارك الله فيه.

وجعل الناس يتزودون الزاد، حتى وصلوا إلى المدينة(١٨٥) واقتاتوا بما تزودوا.

وهكذا سمع النبي ﷺ وجهة نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخذ برأيه، ونفذه على المسلمين يومئذ، فاستبقى المسلمون ركابهم عدة لهم في ترحالهم وغزواتهم وسراياهم، وقوة لهم على أعدائهم في الحرب والسلام.

إن الشورى النبوية لم تقتصر في الحرب على قضايا العمليّات، بل شملت القضايا الإدارية، ومنها الاعاشة أيضاً وقديما قالوا: «إن الجندي يمشي على بطنه» فما يستطيع المشي ولا العمل ولا بذل الجهد ولا مباشرة القتال إذا كان جائعاً، فلا بد من التفكير في اعاشته ليؤدي كما ينبغي واجبه في ميدان القتال.

جـ. وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة

---

(١٨٤) الأفراق: جمع فرق، وهو مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصُع، أو يسع ستة عشرة رطلاً، أو أربعة أرباع. والحزر: التقدير والخرص، انظر القاموس المحيط (٢٧٤/٣) و (٨/٢) وترتيب القاموس المحيط (٤٢٣/٣) و (٥٤٥/١).

(١٨٥) انظر التفاصيل في: مغازي الواقدي (١٠٣٧/٣ - ١٠٣٨).

وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك[١٨٦] بدومة الجندل[١٨٧] وكان أكيدر من كندة قد ملكهم، وكان نصرانياً. وانتهى إليه خالد، وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان، فشدت عليه خيل خالد بن الوليد، فاستأثر أكيدر وامتنع أخوه حسان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهما. ودخل خالد الحصن، وأجار أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح. وعزل للنبي ﷺ صفياً خالصاً، ثم قسم الغنيمة فأخرج الخمس، وكان للنبي ﷺ ثم قسم ما بقي بين أصحابه، فصار لكل رجل منهم خمس فرائض[١٨٨]. ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وبأخيه

---

(١٨٦) أكيدر بن عبد الملك: صاحب دومة الجندل، ذكروا أنه أسلم وأهدى للنبي ﷺ حلة حرير، فوهبها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصواب أنه أهدى للنبي ﷺ وصالحه ولم يسلم. ولما صالحه النبي ﷺ عاد إلى حصنه وبقي فيه. ثم إن خالداً أسره لما حاصر دومة الجندل أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقتله مشركاً. وقد ذكر البلاذري أن أكيدر لما قدم على النبي ﷺ مع خالد أسلم وعاد إلى دومة الجندل، فلما مات النبي ﷺ ارتد ومنع ما قبله، فلما سار خالد من العراق إلى الشام قتله، وعلى هذا القول أيضاً، فلا ينبغي أن يذكر مع الصحابة، وإلا فيذكر كل من أسلم في حياة رسول الله ﷺ ثم ارتد، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (١/١١٤) والإصابة (١/١٢٩-١٣١).

(١٨٧) دومة الجندل: حصن في شمالي نجد، وهي طرف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٠٦-١٠٩). وانظر تفاصيل عمليات خالد بن الوليد في ميدان دومة الجندل في: مغازي الواقدي (٣/١٠٢٥-١٠٣٠) وسيرة ابن هشام (٤/١٨١-١٨٢) وطبقات ابن سعد (٢/١٦٦) والدرر (٢٥٦) وجوامع السيرة (٢٥٣) وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (٢/٢٢٠ - ٢٢١).

(١٨٨) فرائض: جمع فريضة. والفريضة من الدواب: المسنة، انظر المعجم الوسيط (٢/٦٨٣).

مصاد[189] - وكان في الحصن، وبما صالحه عليه قافلا إلى المدينة فقدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فأهدى له أكيدر هدية فصالحه على الجزية، وحقن دمه ودم أخيه، وخلى سبيلهما. وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه، وختمه يومئذ بظفره[190].

وكان نص كتاب رسول الله ﷺ لأكيدر:

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله، في دومة الجندل وأكنافها، وأن لنا الضاحية[191] من الضحل، والبور، والمعامي، وأغفال الأرض والحلقة، والسلاح، والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس، لا تُعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم عشر البتات[192] تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها. عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين »[193].

---

(١٨٩) ورد اسمه: مصاد في طبقات ابن سعد (٢/١٦٦)، أما مغازي الواقدي (٣/١٠٢٧) فورد اسمه مضاد، فأثبتنا ما ورد في طبقات ابن سعد، لأنه اسم شائع في العرب حينذاك، بعكس ما ورد في مغازي الواقدي، فهو اسم غير شائع ولا معروف.

(١٩٠) طبقات ابن سعد (٢/١٦٦) وانظر مغازي الواقدي (٣/١٠٢٥ - ١٠٢٨).

(١٩١) الضاحية: أطراف الأرض، كما ذكر السهيلي، انظر الروض الأنف (٢/٣٢٠)، وقد وردت بهذا النص: «وإن لنا الضاحية» في مغازي الواقدي (٣/١٠٣٠)، بينما وردت في طبقات ابن سعد (١/٢٨٩): «أن له الضاحية»، والنص الأول أوضح وأقرب إلى الفهم، لذلك أثبتناه.

(١٩٢) البتات: المتاع ليس عليه زكاة، انظر لسان العرب (٢/٣١٢).

(١٩٣) مغازي الواقدي (٣/١٠٣٠) وطبقات ابن سعد (١/٢٨٨ - ٢٨٩)، وانظر تفاصيل =

الضّحّل: الذي فيه الماء القليل. والبور: ما ليس فيه زرع، والمعامي: ما ليست له حدود معلومة، وأغفال الأرض: مياه. ولا تُعد فاردتكم: لا يعد ما يبلغ أربعين شاة، والفاردة: ما لا تجب فيه الصدقة. والحافر: الخيل. والمعين: الماء الجاري. والضامنة من النخل: النبات من النخل التي قد نبتت عروقها في الأرض. وفي طبقات ابن سعد ما نصه: «ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات» والثبات هنا النخل القديم الذي ضرب عروقه في الأرض وثبتت. أما نص ما جاء في مغازي الواقدي: «ولا يحظر عليكم النبات» والنبات من النخل كما ذكرنا هي التي قد نبتت عروقها في الأرض، ولا يحظر عليكم النبات: ولا تمنعوا أن تزرعوه[194].

د. وكانت دومة وأيلة[195] وتيماء[196] قد خافوا النبي ﷺ لما رأوا العرب قد أسلمت، فقدم يُحنة بن رؤبة على النبي ﷺ، وكان ملك أيلة، وأشفقوا أن يبعث إليهم رسول الله ﷺ كما بعث إلى أهل أكيدر. وأقبل معه أهل جرباء[197] وأذرح[198]، فأتوه، فصالحهم وقطع عليهم الجزية، جزية معلومة، وكتب لهم كتاباً:

= المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية - الدكتور محمد حميد الله - ط ٢ - (٢١٩) - تسلسل (١٩١) - القاهرة - ١٣٧٦ هـ.

(١٩٤) مغازي الواقدي (١٠٣٠/٣) وطبقات ابن سعد (٢٨٨/١ - ٢٨٩).

(١٩٥) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٩١/١).

(١٩٦) تيماء: بليد على ثماني مراحل من المدينة، بينها وبين الشام، انظر وفاء الوفا (٢٧٢/٢)، ويقع في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق، انظر معجم البلدان (٤٤٢/٢).

(١٩٧) جرباء: اسم بلد في أطراف الشام، من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦١/٣) و (٧٢/٣).

(١٩٨) أذرح: قرية في أطراف الشام بينها وبين جرباء ثلاثة أيام، انظر معجم ما استعجم (٨٤). والصواب أن بينها نحو ميل واحد أو أقل، انظر معجم البلدان (١٦١/١) و (٧٢/٣).

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا أمنة من الله ومحمد النبي ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة لسفنهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. ومن أحدث حدثاً فانه لا يحول ما له دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه[199]، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر. هذا كتاب جُهيم بن الصلت[200] وشرحبيل بن حسنة[201] باذن رسول

---

(199) وردت كذلك في مغازي الواقدي (١٠٣١/٣) ووردت: يردونه في طبقات ابن سعد (٢٨٩/١).

(200) جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي: أسلم عام خيبر، وأعطاه رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقا، وفي رواية أنه أسلم بعد الفتح، والأول أصح، انظر: أسد الغابة (٣١١/١ - ٣١٢) والإصابة (٢٦٧/١) والاستيعاب (٢٦١/١).

(201) شرحبيل بن حسنة الكندي: وحسنة اسم أمه، واسم أبيه عبد الله بن المطاع، يكني: أبا عبد الله، وكان شرحبيل حليفاً لبني زهرة. أسلم قديماً وأخواه، وهاجر إلى الحبشة هو وأخواه، فلما قدموا من الحبشة نزلوا في بني زريق في ربعهم، وكان من علية أصحاب رسول الله ﷺ، وغزا معه عدة غزوات. كان من قادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حرب الردة، ولما انتهت حرب الردة ولاه أبو بكر الصديق قيادة جيش من جيوش فتح الشام، وشهد معركة اليرموك على رأس جيشه، وفتح بيسان وطبرية والأردن، وكان فتح هذه البقاع في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد بقي والياً من ولاة عمر وقادته على الأردن إلى أن مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة الهجرية، وله سبع وستون سنة. طعن هو وأبو عبيدة بن الجراح في يوم واحد، ولما وقع الطاعون بالشام خطب عمرو بن العاص الناس فقال: « إن هذا الطاعون رجس، فتفرقوا عنه في هذه ا الشعاب وفي هذه الأودية »، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة، فغضب، فجاء يجر ثوبه فقال: « صحبت رسول الله ﷺ وعمرو أضل من حمار أهله، ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ووفاة الصالحين قبلكم »، انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (٣٩٤/٧) و (١٢٧/٤) وأسد الغابة (٣٩١/٢) والإصابة (١٩٩/٣) والاستيعاب (٦٩٩/٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٠٠/٦ - ٣٠١) والمعارف (٣٢٥) وشذرات الذهب (٣٠/١)=

الله »[٢٠٢].

وكان رسول الله ﷺ، قد كتب إلى يُحنة بن رؤبة وسروات أهل ايلة كتاباً هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم

سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، فإني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم فأسلم أو أعط الجزية وأطع الله ورسوله ورسل رسوله وأكرمهم وأكسهم كسوة حسنة غير كسوة الغزاء، واكس زيدا كسوة حسنة، فمها رضيت رسلي فاني قد رضيت، وقد علم الجزية، فان أردتم أن يأمن البر والبحر فاطع الله ورسوله ويمنع عنكم كل حق كان للعرب والعجم إلا حق الله وحق رسوله وإنك إن رددتهم ولم ترضهم لا آخذ منكم شيئاً حتى أقاتلكم فأسبي الصغير وأقتل الكبير، فاني رسول الله بالحق أومن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم أنه كلمة الله، وإني أؤمن به أنه رسول الله وأت قبل أن يمسكم الشر، فاني قد أوصيت رسلي بكم، واعط حرملة ثلاثة أوسق شعيراً، وان حرملة شفع لكم، واني لولا الله وذلك لم أراسلكم شيئاً حتى ترى الجيش، وانكم ان أطعتم رسلي فان الله لكم جار ومحمد ومن يكون منه وإن رسلي

= وجمل فتوح الإسلام - ملحق بجوامع السيرة (٣٤١) وجوامع السيرة (٦١) وسيرة ابن هشام (١/٣٥٠)، وانظر تفاصيل سيرته في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (١١٣ - ١١٩).

(٢٠٢) طبقات ابن سعد (١/٢٨٩) ومغازي الواقدي (٣/١٠٣١)، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (٢١٧ - تسلسل (١٩١).

شرحبيل وأبي[٢٠٣] وحرملة[٢٠٤] وحريث بن زيد الطائي[٢٠٥] فانهم مهما قاضوك عليه فقد رضيته، وإن لكم ذمة الله وذمة محمد رسول الله، والسلام عليكم إن أطعتم وجهزوا أهل مقتا[٢٠٦] إلى أرضهم»[٢٠٧].

وكان أثر هذا الكتاب النبوي واضحاً في يحنة بن رؤبة، فقدم إلى النبي ﷺ وعقد معه المعاهدة التي ذكرناها. وكان عليه صليب من ذهب، وكان معقود الناصية. فلما رأى رسول الله ﷺ كفر[٢٠٨] وأومأ برأسه، فأومأ إليه رسول الله ﷺ ان ارفع رأسك، وصالحه يومئذ وكساه رسول الله ﷺ برداً يمنياً بزدايمنة، وأمر بانزاله عند بلال[٢٠٩]. كما كان

---

(٢٠٣) أبي: لم أستطع أن أعرف أي أبي هو المقصود، لوجود كثير من الصحابة بهذا الاسم.

(٢٠٤) حرملة: لم أستطع أن أعرف أي حرملة هو المقصود، لوجود كثير من الصحابة بهذا الاسم.

(٢٠٥) عريث بن زيد الطائي: هو ابن زيد الخيل، له صحبة، شهد هو وأخوه حرب الردة مع خالد بن الوليد، وبعثه النبي ﷺ إلى يحنة بن رؤبة وأهل أيلة، انظر سيرته في: أسد الغابة (١/٣٩٨ - ٣٩٩) والإصابة (٢/٣ - ٤) وتهذيب ابن عساكر (٤/١١٤).

(٢٠٦) مقنا: قرب أيلة، انظر معجم البلدان (٨/١٢٨).

(٢٠٧) طبقات ابن سعد (١/٢٧٧ - ٢٧٨).

(٢٠٨) التكفير: إيماء الذمي برأسه، والتكفير لأهل الكتاب: أن يطأطىء أحدهم رأسه لصاحبه كالتسليم عندنا، والتكفير: أن يضع يده أو يديه على صدره، انظر لسان العرب (٦/٤٦٦).

(٢٠٩) بلال بن رباح الحبشي: يكنى أبا عبد الكريم وقيا أبا عبد الله، وقيل أبا عمرو، وهو مولى أبي بكر الصديق اشتراه وأعتقه، وكان مؤذناً لرسول الله ﷺ وخازناً. شهد بدراً والمشاهد كلها وكان من السابقين إلى الإسلام وممن عذب في الله وصبر على العذاب. ذهب إلى الشام بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى مجاهداً. توفي بالشام، ودفن بباب الصغير بدمشق، وكانت وفاته سنة عشرين الهجرية، وهو ابن بضع وستين سنة، وكان آدم شديد الأدمة نحيفاً طوالاً أجنى خفيف العارضين، ولم يعقب انظر تفاصيل سيرته في: طبقات ابن سعد وأسد الغابة (١/٢٠٦ - ٢٠٩) (٣/ ٢٣٢ - ٢٣٩) والإصابة (١/١٧٠ - ١٧١) والاستيعاب (١/١٧٨ - ١٨٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/١٣٦ - ١٣٧).

على أكيدر حين قدم به صليب من ذهب وعليه الديباج ظاهرا[٢١٠].

وكان رسول الله ﷺ، قد وضع الجزية على أهل أيلة ثلاثمائة دينار كلّ سنة، وكانوا ثلاثمائة رجل[٢١١]، أي أنه وضع ديناراً واحداً في كل سنة على كل رجل من رجال أيلة.

هـ. وكتب النبي ﷺ كتاباً إلى أهل أذرح هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبيّ لأهل أذرح، أنهم آمنون بأمان الله ومحمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان للمسلمين. ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين، وهم آمنون حتى يحدث إليهم من محمد قبل خروجه»[٢١٢]، يعني إذا أراد الخروج.

وكتب رسول الله ﷺ، لأهل جرباء وأذرح كتاباً هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبيّ لأهل جرباء وأذرح، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبةً، والله كفيل عليهم»[٢١٣].

---

(٢١٠) طبقات ابن سعد (٢٩٠/١) ومغازي الواقدي (١٠٣١/٣-١٠٣٢). وبرداً يمنة: البرد، جمع بردة. وبردة يمنة: بردة من برود اليمن، انظر الصحاح (٢٢٢١).

(٢١١) طبقات ابن سعد (٢٩٠/١) ومغازي الواقدي (١٠٣١/٣).

(٢١٢) طبقات ابن سعد (٢٩٠/١) ومغازي الواقدي (١٠٣٢/٣) وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في: مجموعة الوثائق السياسية (٥٥-٥٦) تسلسل (٣٢-٣٢ ألف).

(٢١٣) طبقات ابن سعد (٢٩٠/١) ومغازي الواقدي (١٠٣٢/٣).

وكتب لأهل مقنا، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم.

وأهل مقنا على ساحل البحر يهود، وأهل جربا وأذرح يهود أيضاً، وقوله: طيبة، من الخلاص أي ذهب خالص. وقوله: خروجه، أي إذا أراد الخروج(٢١٤).

وكتب رسول الله ﷺ إلى بني جنبة وهم يهود بمقنا وإلى أهل مقنا، ومقنا قريب من أيلة ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من: محمد رسول الله.

إلى: بني جنبة وإلى أهل مقْنا.

أما بعد! فقد نزل عليّ أيّتكم راجعين إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فانكم آمنون لكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسول الله غافِرٌ لكم سيئاتكم وكل ذنوبكم، وإنّ لكم ذمة الله وذمة رسوله لا ظلم عليكم ولا عدى، وإن رسول الله جاركم مما منع منه نفسه، فإن لرسول الله بزكم وكل رقيق فيكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخلكم وربع ما صادت عروككم وربع ما اغتزل نساؤكم، وإنكم برئتم بعد من كل جزية أو سخرة، فإن سمعتم وأطعتم فإن على رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم.

أما بعد! فإلى المؤمنين والمسلمين من اطلع أهل مقنا بخير فهو خير له، ومن أطلعهم بشر فهو شر له، وأن ليس عليكم أمير إلا من

---

(٢١٤) طبقات ابن سعد (٢٩١/١).

أنفسكم أو من أهل رسول الله، والسلام».

أما قوله أيتكم: يعني رسلهم. ولرسول الله بزكم: يعني بزهم الذي يصالحون عليه في صلحهم ورقيقهم. والحلقة: ما جمعت الدار من سلاح أو مال. أما عروككم: فالعروك خشب تلقى في البحر يركبون عليها، فيلقون شباكهم يصيدون السّمك(٢١٥).

و. وإذا كان انتصار المسلمين في غزوة تبوك انتصاراً معنوياً، الذي لا يقلّ أهمية عن الانتصار المادي، لأن المسلمين لم يلقوا في هذه الغزوة كيدا، إلا أن معاهدات الصلح التي عقدها النبي ﷺ مع أهل دومة وأيلة وتيماء وجرباء وأذرح ومقنا وبني جنبة كانت انتصاراً معنوياً وانتصاراً مادياً كاملاً.

أما الانتصار المعنوي للمسلمين في غزوة تبوك وفي معاهدات الصلح التي كانت ثمرة من ثمرات هذه الغزوة، فإن معنويات المسلمين ارتفعت

---

(٢١٥) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١ - ٢٧٧)، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في: مجموعة الوثائق السياسية (٥٧) تسلسل (٣٣) وقد جاء في: مجموعة الوثائق (٥٩) تسلسل (٣٤) رسالة أخرى إلى أهل مقنا بعنوان: رواية أخرى عن معاهدة مقنا المذكورة، وهذه الرسالة مختلفة. جاء في البداية والنهاية ما نصه: «أما ما يدعيه طائفة من يهود خيبر أن بأيديهم كتاباً من النبي ﷺ بوضع الجزية عنهم، وفي آخره: وكتب علي بن أبي طالب، فهو كذب وبهتان مختلق موضوع مصنوع، وقد بيّن جماعة من العلماء بطلانه، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم، وهذا ضعيف جداً. وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه بطلانه وأنه موضوع اختلقوه، وهم أهل لذلك». انظر البداية والنهاية (٣٥١/٥ - ٣٥٢)، والرسالة المذكورة لأهل خيبر وأهل مقنا. كما جاء في نصها الواضح تزويره، فما كان ينبغي أن تذكر هذه الرسالة في: مجموعة الوثائق السياسية، وانظر أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (٧/١ - ٩).

ويكفي لاثبات تزويرها أنها منشورة ضمن بحث في مجلة (جويش كوارترلي رفيو Jewish Quarterly Review)، وهي مجلة صهيونية معروفة - لندن - مجلد ١٥ من السلسلة الأولى (شهر يناير سنة ١٩٠٣م) - ص (١٦٧ - ١٨١).

كثيراً تجاه الروم وحلفائهم الغساسنة، وبذلك استطاع النبيّ ﷺ أن يجعل المسلمين يعتقدون بأنّ في إمكانهم محاربة الروم وحلفائهم والتغلب عليهم.

ولم يكن العرب المسلمون (يحلمون) قبل الرسول ﷺ بأنهم يستطيعون صدّ تعرّض الروم وحلفائهم عليهم في عقر دارهم، فأصبحوا بالنبيّ ﷺ وبالإسلام (يعتقدون) بعد تبوك بأن في مقدورهم محاربة الرّوم في بلاد الروم نفسها والانتصار على جيوشهم هناك.

والحق أن العرب غير المسلمين استهولوا قتال العرب المسلمين للروم، فقال قائلهم وهم يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: «أتحسبون جلاد بني الأصفر (أي الروم) كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال»، إرهاباً وإرجافاً وترهيباً للمؤمنين[٢١٦]، فما كان هؤلاء العرب الذين لم يسلموا يصدقون بأن العرب المسلمين قادرون على حرب الرّوم، ولكن العرب المسلمين كانوا واثقين من نصر الله، فإذا كان العرب أنفسهم يستهينون بأنفسهم إلى هذا الحد، فلا لوم على الرّوم في استهانتهم بالعرب أيضاً.

لقد قضى انتصار المسلمين المعنوي على الروم قضاء حاسماً على تردد المتخلّفين عن الإسلام من العرب، فإذا كانت قوات المسلمين تهدد الروم في عقر دارهم وهم من هم قوة وسلطاناً، فلا مجال للقبائل العربية غير المسلمة أن تثبت أمام المسلمين. لذلك أقبلت وفود أكثر القبائل العربية إلى المدينة بعد عودة النبي ﷺ إليها من تبوك معلنةً إسلامها، وأقبل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، لهذا سمي هذا العام بعام الوفود.

---

(٢١٦) سيرة ابن هشام (٤/١٨٠).

ولكن الروم بقدر اهتمام العرب المسلمين بهم، وإعداد القوّة لهم، واستكمال الاستحضارات بكل تفاصيلها لقتالهم، كانوا يتصوّرون أنه لا فرق بين العرب قبل الإسلام وبين العرب بعد الإسلام، وأن الحرب التي يشنها العرب المسلمون كالحرب التي كان يشنها العرب قبل الإسلام، فالحرب العربية في مجملها غارات تلتهب بسرعة، وتخمد بسرعة، دون أن تترك أثراً ولا تأثيراً، فكانت استهانة الروم بالعرب المسلمين، بقدر اهتمام العرب المسلمين بالروم واستعدادهم الكامل المفصل لحربهم، فوقع الرّوم في خطأ عسكريّ سوقي عظيم، كان له أسوأ الأثر في مستقبل الرّوم وحكمهم في بلاد الشام وفي وطنهم الأم، فما كان ينبغي لهم أن يستهينوا بالعرب المسلمين استهانة لا مسوّغ لها، إذ لم يكن لهم أي رد فعل تجاه غزوة تبوك لا على نطاق جيش الروم الأصلي في قيادته العامة، ولا على نطاق جيش الروم المحلي في قيادته الفرعية التي كانت تسيطر على منطقة ميدان القتال.

وقد أدى اندحار الروم معنوياً في غزوة تبوك، إلى تفكير القبائل العربية الخاضعة لهم، بعدم جدوى اعتمادهم على الروم لحمايتهم، ولا بدّ من التّحالف مع المسلمين الأقوياء، ليضمنوا لهم الحماية والاستقرار، لذلك أقبلت القبائل العربية على مصالحة المسلمين ومحالفتهم، وازداد انتشار الإسلام في تلك المناطق عما كان عليه بعد مؤتة.

واستطاع الرسول ﷺ - نتيجة لذلك - تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب التي تربط الجزيرة العربية ببلاد الشام الخاضعة للرّوم في حينه، وذلك بعقد المحالفات مع سكان تلك المنطقة وإقبال قسم منهم على اعتناق الإسلام. فكان من تلك النقاط الارتكازية في الصحراء كدومة، وكان منها على ساحل بحر القلزم، وكان سائرها على حدود بلاد الشام الجنوبية وحدود الجزيرة العربية

الشمالية الغربية، وبذلك ضمن الرّسول ﷺ حماية الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب تجاه الروم وحلفائهم الغساسنة، كما أصبحت تلك المواقع الموالية للمسلمين نقاط انطلاق المسلمين لفتح بلاد الشّام.

إن نقاط الارتكاز في مواقعها السوقية، سهّلت مهمة الفتح الإسلامي على عهد الخلفاء الراشدين، فمنها انطلقت قوّات المسلمين إلى الشمال، وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم في فتح بلاد الشام.

أما الانتصار المادي الذي حقّقه المسلمون في عقد معاهدات الصلح مع أهل دومة وأيلة وتيماء وجرباء وأذرح ومقنا وبني جنبة، فبالإضافة إلى ضمان ولائهم للمسلمين، وانتشار الإسلام في ربوعهم، ونهوضهم بواجب حماية الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب، وتشكيلهم نقاط انطلاق للاندفاع شمالاً نحو بلاد الشام، فقد استفاد المسلمون من الغنائم في وقت كانوا بأمسّ الحاجة إليها، كما استفادوا من الجزية التي فُرضت على الذين بقوا على دينهم ولم يعتنقوا الإسلام.

والمهم ما ظهر في هذه الغزوة من تطبيق الشورى العسكرية في خطط العمليات وفي القضايا الإدارية أيضاً، وهو درس حيوي نتعلّمه من هذه الغزوة التي كانت آخر غزوات النبي ﷺ.



الخاتمة

١ - في الشّورى العسكرية:

أ. ذكر المفسرون القدامى في كتب تفسير القرآن الكريم، والمحدثون في كتب الحديث النبوي الشّريف وفي كتب شرح الحديث النبويّ الشّريف، والفقهاء في كتب الفقه الإسلامي وكتب السياسة الشّرعية والخراج والأموال وكتب السير، وهو ما نسميه بالوقت الحاضر: «حقوق الدول الخاصة والعامة في الإسلام»(٢١٧). أمثلة على تطبيق النبيّ ﷺ للشّورى العسكرية في: غزوة بدر الكبرى، وغزوة أُحد، والخندق، على العموم، وقد ذكروا تلك الأمثلة بإيجاز شديد.

وذكر أحد الفقهاء استشارة النبي ﷺ في أمر ردّ سبي هوازن(٢١٨) بايجاز شديد أيضاً، وهذا مجمل كلّ ما ذكره المؤلفون القُدامى على الشورى العسكريّة النبويّة.

أما المفسرون والفقهاء والمحدثون ورجال القانون والمؤلفون المحدثون الذين كتبوا في: الشورى الإسلامية، فقد اقتبسوا ما كتبه القدامى

---

(٢١٧) انظر مقدمة في علم السير أو حقوق الدّول في الإسلام الدكتور محمد حميد الله مقدمة لكتاب أحكام أهل الذمة ص(٧٥) ابن قيم الجوزية تحقيق الدكتور صبحي الصالح ط ١ دمشق ١٣٨١ هـ.

(٢١٨) كتاب الأموال أبو عبيد ص (١١٧ - ١١٨) القاهرة، ١٩٦٩ م.

بشيء من الشرح تارة وبشيء من الإيجاز تارة أخرى، وكانت شواهدهم من غزوة بدر الكبرى، وغزوة أُحد، وغزوة الخندق كشواهد الأقدمين نصاً وروحاً، مع إضافة الشورى في غزوة حنين[٢١٩] في سطر فقط: «واستشار الرسول ﷺ كافة المسلمين في أمر ردّ سبي هوازن»[٢٢٠].

والمؤلفون القدامى والمحدثون من مفسرين ومحدثين وفقهاء، يهمهم بالدرجة الأولى، تقرير القاعدة الإسلامية ثم تأكيدها بالمثال، ومؤلَّفاتهم عبارة عن قواعد ترتكز على الكتاب والسُنَّة وأمثلة من التطبيق العملي لتلك القواعد، فلا لوم على أولئك المؤلفين في توخّيهم الايجاز عند ذكرهم الأمثلة التطبيقيّة على تلك القواعد الإسلامية أو تلك التعاليم الإسلامية بتعبير آخر، المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

ولكنّ هذا الايجاز في ذكر الأمثلة التطبيقية - وبخاصة في أمثلة التطبيق العملي للشّورى العسكرية النبويّة، فوّت على الدارسين والمحققين بخاصة، وعلى المسلمين والعسكريين منهم بعامة، ألواناً من الشّورى العسكرية النبويّة على جانب عظيم من الفائدة، لا يمكن الاستغناء عنها، وهي تُغني الفكر الإسلامي والعالميّ بفيض من التّجارب العملية التي قادت إلى النصر، وجعلت الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة باذن الله.

وعدتُ إلى ما دوّنه المؤرّخون القُدامى في المصادر التاريخية المعتمدة، وإلى كتب السيرة النبوية الأولى، فوجدت تلك المصادر غنية بالتطبيقات العملية في الشورى العسكرية النبوية، وهي أضعاف ما دوّنه المؤلفون القدامى والمحدثون في مجال التفسير والحديث والفقه من ناحية

---

(٢١٩) نظام الحكم في الإسلام الدكتور محمد يوسف موسى ص (١٢٢) القاهرة ١٩٦٢ م.

(٢٢٠) الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية والنظم المعاصرة الدكتور سعيد عبدالمنعم الحكيم ص (٢٠٨) القاهرة ١٩٧٦ م.

العدد، ولا تقل في أهميتها وفائدتها عما أورده المفسرون والمحدثون والفقهاء، فأحصيت ما ورد في مصادر التاريخ والسيرة النبوية، وأضفته الى ما ورد في مصادر التفسير والحديث والفقه الإسلامي العظيم.

وقد رأيت من المفيد أن أوقت الغزوات التي كان فيها تطبيق للشورى العسكرية، وأن ألقي الضوء على الظروف التي جرت فيها الشورى في تلك الغزوات، لكي أضع القارىء في الصورة التي تعينه على تفهم حكمة الشورى وأسبابها ونتائجها الايجابية في المعارك وأسلوب تطبيقها. وظروف التطبيق. فما خاب مَنْ استشار، لانه يضيف آراء إلى رأيه وعقولاً إلى عقله، والخائب هو الذي لا يستشير، وصدق رسول الله ﷺ: «**ما خاب من استخار**[٢٢١]**، ولا ندم من استشار، ولا عال**[٢٢٢] **من اقتصد**»[٢٢٣].

ب. استشار النبيّ ﷺ في مسير الاقتراب إلى بدر من معه من المسلمين، لضمان مشاركة الأنصار في القتال، فكانوا معه في السرّاء والضّراء وحين البأس.

وبادر الحُباب بن المنذر بابداء مشورته في تبديل معسكر المسلمين في بدر إلى معسكر مناسب، فعمل النبيّ ﷺ بمشورة الحباب.

وقبل نشوب القتال، بادر سعد بن معاذ بمشورة بناء العريش للنبيّ ﷺ، ليكون مقراً تعبوياً للمعركة، فعمل النبيّ ﷺ بمشورة سعد.

وبعد المعركة استشار النبيّ ﷺ أبا بكر رضي الله عنه وعمر بن

---

(٢٢١) استخار: طلب الخيرة في الأمور.

(٢٢٢) عال: افتقر.

(٢٢٣) عن أنس رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط، وهو حديث حسن، انظر: مختصر الجامع الصغير للمناوي مصطفى محمد عمارة من (٢٤٥/٢)ط ١ القاهرة ١٣٧٣ هـ.

الخطاب رضي الله عنه، في أمر أسرى بدر من المشركين، فأشار أبو بكر بابقاء الأسرى على قيد الحياة، وأشار عمر بقتلهم، فأخذ النبيّ ﷺ رأي أبي بكر.

لقد استشار النبيّ ﷺ ثلاث مرات في غزوة بدر الكبرى: الأولى استشارة عامة، والثانية بمبادرة من المستشار، والثالثة استشارة خاصة، وأخذ بمشورة ذوي الرأي.

وليس هناك أي نصّ على استشارته في أثناء المعركة، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ملازماً له في ساعات القتال، ومن المنطق أنه استشار أبا بكر في بعض ما عرض له من معضلات في القتال.

وقبل نشوب القتال في غزوة أُحد، كان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة والدفاع عنها، ولكن أغلبية المسلمين أرادوا الخروج إلى أُحد، فأخذ برأي الأغلبية.

وبعد الرجوع إلى المدينة من غزوة أحد، أشار على النبي ﷺ أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالخروج إلى حمراء الأسد لمطاردة المشركين، فأخذ بمشورتها وطارد المشركين.

وقبل نشوب القتال في غزوة الخندق استشار النبيّ ﷺ في أسلوب الدفاع عن المدينة وممارسة القتال فيها، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق كما يفعل قومه في الدفاع عن مدنهم، فأخذ النبيّ ﷺ بمشورة سلمان.

وفي أثناء القتال، أراد النبيّ ﷺ أن يعطي شيئاً من تمر المدينة لعُيَينة بن حصن ليخذل عنهم غطفان، ولكن سعد بن معاذ وسعد بن عبادة أشارا عليه بعدم إعطاء غطفان أي شيء من ثمار المدينة، فأخذ النبيّ ﷺ بمشورتها.

أما في غزوة الحديبية، فكان فيها ثلاث مراحل للشورى: الأولى في المدينة حيث أشار قسم من المسلمين بالتسلح الكامل خوفاً من مباغتة المشركين لهم، ولكن كبار الصحابة كانوا مع النبيّ ﷺ في التسلح بسلاح الراكب لاثبات نيات المسلمين السلمية وأنهم جاؤوا معتمرين ومعظمين للبيت الحرام، فلم يأخذ النبيّ ﷺ بمشورة من أشار عليه التسلح الكامل. والمرحلة الثانية في عسفان بعد أن عرف المسلمون بأن قريشاً أعدت لحربهم وقدمت خالد بن الوليد على رأس الخيل لصدّ المسلمين بالقوّة، فكان رأي ذوي الرأي من المسلمين: المضي قدماً، فمن صدّهم عن البيت قاتلوه، فأخذ النبيّ ﷺ بمشورتهم مع الاصرار على إظهار نياته السلمية وعدم الاصطدام بالمشركين ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وكانت المرحلة الثالثة في الحديبية، حيث تذمّر قسم من المسلمين من نتيجة المفاوضات، ولكن أغلب ذوي الرأي كانوا مع النبيّ ﷺ في نياته السلمية وفي إقرار السّلام.

وفي غزوة خيبر، أشار الحباب بن المنذر بتبديل معسكر المسلمين الراهن إلى معسكر جديد أكثر أمناً من الأول، فعمل النبي ﷺ بمشورة الحباب، بعد أن جرى اختيار المعسكر الآمن.

كما أشار الحباب أيضاً بقطع نخل يهود، ليؤثر ذلك في معنوياتهم، فأخذ النبيّ ﷺ بهذه المشورة.

ولكنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، أشار بالتوقف عن قطع النخل، فأخذ النبيّ ﷺ بمشورته أيضاً، بعد أن أدى قطع النخل مفعوله في معنويات يهود، ولم يعد هناك ما يسوغ الاستمرار على القطع.

وفي الجعرانة بعد توقف القتال في غزوة حنين وغزوة الطائف، استشار النبيّ ﷺ في ردّ سبي هوازن إلى ذويهم، وبادر هو بالتنازل عن حقه في السبي وحقوق بني المطلب، فتنازل المسلمون الأولون عما في

أيديهم من السبي، ورفض قسم من مسلمي الفتح التنازل عن سبيهم، فعوّضهم بما أرضاهم، وهكذا عاد سبي هوازن إلى هوازن.

وفي غزوة الطائف، عسكر المسلمون في معسكر قريب من مرمى العدو، فتكبدوا خسائر فادحة بالأرواح. وكان لا بدّ من تبديل معسكرهم إلى معسكر مرتفع بعيد عن المشركين المحاصرين في الطّائف، فاختار الحباب بن المنذر معسكراً جيداً مناسباً أكثر أمناً من المعسكر الأول، وانتقل المسلمون إلى معسكرهم الجديد.

ولما طال الحصار واشتدت مقاومة المشركين، شاور النبيّ ﷺ أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسيّ بنصب المنجنيق على حصن الطّائف في محاولة لاستسلام المشركين، فأخذ النبيّ ﷺ بمشورة سلمان، واستعمل المنجنيق والدبّابة في حصار الطائف.

واستشار النبيّ ﷺ نوفل بن معاوية الديلي في أمر الانسحاب عن الطائف، فقال: «يا رسول الله! ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك شيئاً»، فأخذ النبي ﷺ برأيه، وأمر بالرحيل. ولكن قسماً من المسلمين حرصوا على استسلام الطائف وآثروا البقاء على الحصار، فوافق النبيّ ﷺ على الاستمرار في الحصار. وأصابت المسلمين جراحات، فأمر النبيّ ﷺ بالرحيل، فسرّ المسلمون بذلك وأذعنوا.

وفي غزو تبوك، استشار النبيّ ﷺ أصحابه في التقدم من تبوك، شمالاً، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدم التقدم شمالاً في هذه السنة، لعدم استفزاز حشود الروم وحلفائهم المتفوقة على المسلمين تفوقاً كاسحاً دون مسوغ، فأخذ عليه الصلاة والسلام بمشورة عمر، ولم يتقدّم المسلمون من تبوك شمالاً.

وجاع قسم من المسلمين، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في نحر ركابهم ليأكلوها، فأذن لهم.

ولكن عمر بن الخطاب أشار بعدم نحر تلك الركاب، لصعوبة تعويضها في مثل تلك الظروف الحرجة، والمسلمون بعيدون عن قاعدتهم المدينة، وأشار بجمع أرزاق المسلمين في مكان واحد، ثم توزيعها عليهم، فأخذ النبي ﷺ بمشورة عمر.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة، قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر والفتح، وحنين، والطائف[٢٢٤]، كان للشورى العسكرية مجال واسع وتطبيق واضح في بدر وأُحد والخندق، وخيبر، وحنين، والطائف، أي في ست غزوات من غزواته التسع التي قاتل فيها، كما كان للشورى العسكرية مجال واسع وتطبيق واضح في غزواته: حمراء الأسد، والحديبية، وخيبر، وتبوك وهذه الغزوات بدون استثناء لا تقل أهمية وخطراً عن غزواته الأخرى، فغزوة حمراء الأسد التي خرج فيها المسلمون بعد نكسة أُحد مباشرة وهم جرحى مصابون بذويهم في أحد ليست من الغزوات السهلة، بل هي خطيرة جدا وتتسم بالجراءة والإقدام. والحديبية هي التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿**انا فتحنا لك فتحا مبينا**﴾[٢٢٥] وقوله تعالى: ﴿**فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**﴾[٢٢٦] وكان لها أثرها العظيم في حاضر المسلمين ومستقبلهم. ويكفي أن نذكر أن غزوة تبوك أول غزوة تعرض بها المسلمون بقوات ضخمة بالروم وجرأت العرب على التعرض بالامبراطورية البيزنطينية لأول مرة في التاريخ، وكان لها ما بعدها في فتح بلاد الشام. وعلى ذلك كانت

---

(٢٢٤) مغازي الواقدي (١/٧) وطبقات ابن سعد (٢/٥ - ٦) وسيرة ابن هشام (٤/٢٨١).

(٢٢٥) سورة الفتح، آية ١.

(٢٢٦) سورة الفتح، آية ١٨.

الشورى النبوية في تسع غزوات هي من أهم وأخطر غزوات النبي ﷺ على الاطلاق.

جـ. لقد طبق الرسول ﷺ الشورى العسكرية تطبيقاً عملياً إحدى وعشرين مرة في تسع غزوات من غزواته (انظر التفاصيل في الملحق المرفق)، تضم ألوانا شتى من الشورى ودروساً وعبراً، ما أحوجنا أن نتعلمها عربا ومسلمين، فهي حرية بالدراسة والاعتبار، من أجل حاضر أحسن ومستقبل أفضل للعرب والمسلمين، فليس كالشورى وسيلة لحشد الجهود وتوحيد الصفوف، لتحقيق أهداف الأمة في السلم والحرب.

ولا يمكن أن تكون تطبيقات النبي ﷺ للشورى العسكرية يقتصر على هذا العدد حسب. بالرغم من أن هذا العدد أضعاف العدد الذي يردده المفسرون والمحدثون والفقهاء القدامى والمحدثون في مؤلفاتهم، ولكن هذا العدد هو المدوّن في المصادر التاريخية المعتمدة ومصادر السيرة النبوية بعد جمعها وتنسيقها من تلك المصادر، فمن المعلوم أن كثيرا من الحوادث لا تدوّن في المؤلفات بسبب أو لآخر، ومع ذلك فان هذا العدد كبير جداً، كما أن ممارساته في غزوات النبي ﷺ كبيراً جداً.

وبالإمكان اقتباس الدروس والعبر من ممارسات النبي ﷺ للشورى العسكرية في غزواته فهو الأسوة الحسنة والقدوة لأمته في كل زمان ومكان.

كانت استشارته الأولى في مرحلة مسير الاقتراب من المدينة إلى بدر، حيث علم بخروج مشركي قريش لحربه، فاستشار المسلمين الذين كانوا معه، وكان يريد الأنصار بهذه الاستشارة رغبة منه في استخراج خبايا نفوسهم بصراحة ووضوح، هل يحاربون معه خارج المدينة، أم يحاربون معه داخل المدينة فقط تطبيقاً لما بايعوه عليه في العقبة، فتبين له أنهم معه في المدينة وخارجها، وأن روابط الإيمان الراسخ أقوى من

روابط المعاهدات، وبذلك اتضح موقف الأنصار جليا للنبي ﷺ وللمهاجرين الذين كانوا معه يومئذ. إنه عليه الصلاة والسلام لم يخصص الأنصار بالاستشارة في هذا الموقف، لئلا يحرجهم أو يضعهم في موقف صعب، ولكنه جعل الاستشارة عامة، فسمع الأنصار رأي المهاجرين أولا، ثم أبدوا رأيهم، فانكشفت نياتهم بجلاء وتكشفت خبايا نفوسهم بوضوح، ولم يبق شك في موقفهم السليم، وبذلك نتعلم درسا في أسلوب الشورى الذي يعمم ولا يخصص، والنتيجة واحدة بعيداً عن الاحراج.

واستشار من معه من المسلمين في أمر سبي هوازن، لأن الأمر يخصهم جميعاً، فكل فرد منهم كان لديه شيء من السبي، ورده إلى أهله يقتضي موافقة الذي يملك هذا الجزء من السّبي، وقد بادر النبي ﷺ بالتنازل عما في حوزته من السبي وفي حوزة آله من بني عبد المطلب، فكان أسوة حسنة لغيره، فاقتدى به السواد الأعظم من المسلمين وتنازلوا عما في أيديهم من السبي، وتنازل من حرص على ما في يديه من السبي بعد أن وعدهم النبي ﷺ بالتعويض المجزي. وبذلك نتعلم درساً في أسلوب الشورى الذي يجعل المستشير نفسه قدوة لغيره في التنازل عن القضايا المادية من أجل القضايا المعنوية.

واستشار من معه من المسلمين في غزوة تبوك للتقدم شمالاً، نظراً لخطورة هذه العملية على مصائرهم جميعا، فأشار عمر بن الخطاب بعدم التقدم لامكان الاصطدام بحشود الروم وحلفائهم المتفوقة تفوقاً ساحقاً على المسلمين. وبذلك نتعلم درساً في استشارة الجميع إذا كان الأمر يمسّ مصائر الجميع.

وكان رأي النبي ﷺ في غزوة أُحد الدفاع في المدينة عن المدينة، ولكن أغلبية المسلمين في حينه أرادوا الخروج الى أحد ومنازلة المشركين هناك، فوافق النبي ﷺ على رأي الأغلبية وقرر مغادرة

المدينة والخروج إلى أحد وبذلك نتعلم درساً في الأخذ برأي الأغلبية في الشورى، ويكون القرار نهائياً لا رجعة عنه: ﴿**فاذا عزمت فتوكل على الله**﴾[٢٢٧].

وقد جاء في تفسير هذه الآية: أي إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكّل على الله[٢٢٨] فاذا عزمت: فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح[٢٢٩] إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل على الله لا على مشاورتهم، والعزم هو الأمر المروي المنقّح، وليس ركوب الرأي دون روية عزماً[٢٣٠] فإذا عزمت، أي إذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى، فتوكل على الله في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك[٢٣١] فإذا عزمت فتوكل على الله، أي فإذا عزمت بعد المشاورة في الأمر على إمضاء ما ترجّحه الشورى وأعددت له عدّته، فتوكل على الله في امضائه، وكن واثقاً بمعونته وتأييده لك[٢٣٢] فيه. إن دور الشّورى هو تقليب الرأي واختيار اتجاه من الاتجاهات، فاذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ. التنفيذ في عزم وحسم، وفي التوكل على الله، يصل الأمر بقدر الله، ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء[٢٣٣].

تلك هي مجمل ما جاء في تفاسير الأقدمين والمحدثين رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام خيراً، فإذا أردنا أن نصوغ هذه المعاني في هذه

---

(٢٢٧) سورة آل عمران، آية ١٥٩.
(٢٢٨) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٧).
(٢٢٩) تفسير الكشاف للزمخشري (١/٣٣٢).
(٢٣٠) تفسير القرطبي (٤/٢٥٢).
(٢٣١) تفسير البضاوي (٢/٥٠).
(٢٣٢) تفسير المنار (٤/٢٠٤).
(٢٣٣) في ظلال القرآن (٤/١١٩).

التفاسير بأسلوب عسكري حديث، نقول: إذا اقتنع المسؤول باتجاه من اتجاهات آراء الشورى، وقرر الأخذ بهذا الاتجاه ووضعه في موضع التنفيذ، وأعلن قراره للمرؤوسين، فإنه ملزم بتنفيذه دون تردد في التنفيذ أو في الرجوع عن القرار المعلن، لأن التردد يؤدي إلى اهتـزاز ثقة المرؤوسين بالرئيس، ولا يمكن أن ينجح رئيس في السلم أو الحرب لا يثق به مرؤوسيه ثقة كاملة، ومن أهم عوامل إحراز ثقة المرؤوسين بالرئيس، هو ثباته على قرارته، وتنفيذها بحزم.

وهذا درس جديد من هذه الشورى: اتخاذ القرار نتيجة للشورى، والعمل على تنفيذه بحزم، وعدم تبديله.

والدرس الثالث الذي يقتضي أن نتعلمه من هذه الشورى، هو التمسك بمبدأ الشورى، ومشاورة حتى الذين أخطأوا الرأي كما جرى في غزوة أحد. ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (سورة آل عمران، آية ١٥٩)، أي داوم على المشاورة، وواظب عليها، كما فعلت قبل الحرب في هذه الواقعة (غزوة أحد) وإن أخطأوا الرأي فيها، فإن الخير كل الخير في تربيتهم على المشاورة بالعمل، دون العمل برأي الرئيس ولو كان صواباً، لما في ذلك من النفع لهم في مستقبل حكومتهم إن أقاموا هذا الركن العظيم (المشاورة)، فإن الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكثر، والخطر على الأمة في تفويض أمرها إلى الرجل الواحد أشد وأكبر. وقال الأستاذ الإمام محمد عبده: «ليس من السهل أن يشاور الإنسان ولا أن يشير، وإذا كان المستشارون كثاراً، كثر النزاع وتشعب الرأي، ولهذه الصعوبة والوعورة أمر الله تعالى نبيه أن يقرر سنة المشاورة في هذه الأمة بالعمل، فكان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه بغاية اللطف، ويصغي إلى كل قول، ويرجع عن رأيه إلى رأيهم»[٢٣٤].

---

(٢٣٤) تفسير المنار (١٩٩/٤ - ٢٠٠).

وكما تنازل النبي ﷺ لرأي الأغلبية في الخروج إلى أحد، تنازل عن رأيه في الانسحاب عن حصار الطائف لرأي الأغلبية الذين حرصوا على استمرارية الحصار، فاستمر على الحصار، حتى إذا اقتنع أولئك الذين حرصوا على استمرارية الحصار بألا جدوى من هذا الحصار، أمر النبي ﷺ بالانسحاب، فسر المسلمون وتجاوبوا مع الأمر بالانسحاب. ونتعلم درساً، بأن رأى الأغلبية، له وزنه في الشورى، ولا ينبغي تجاهله ما أمكن.

وكان رأي أقلية من ذوي الرأي قبل الحركة إلى غزوة الحديبية، أن يتسلح المسلمون بالسلاح الكامل، ولكن النبي ﷺ ومعه الأغلبية من ذوي الرأي، أرادوا إظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام، فاعتمروا وساقوا الهدى، وحملوا سلاح الراكب، فلم يأخذ النبي ﷺ برأي الأقلية، وأخذ برأي الأغلبية، وأصر على تنفيذ خطته السلمية.

وحتى الأقلية، اكتفوا بابداء الرأي، ولم يصروا على تطبيقه والأخذ به، ونتعلم من ذلك درساً، هو الأخذ برأي الأغلبية دون الإساءة إلى الأقلية، وذلك باحترام رأيها وتقديره وعدم الاستهانة به والتشنيع عليه.

وفي الحديبية، في عسفان أشار المسلمون، بالقتال الدفاعي، فحرص ألا يقاتل إلا دفاعاً عن النفس ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وفي هذه الغزوة، تذمر قسم من المسلمين وهم أقلية، من سير المفاوضات ومن نتائجها، ولكن الأكثرية وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه كانوا مع النبي ﷺ، فلم يأخذ النبي ﷺ برأي الأقلية، وأصر على إقرار نياته السليمة آخذاً برأي الأغلبية. وقد ندم المتذمرون بعد ذلك، وكان عمر بن الخطاب لا يغفر لنفسه تذمره في الحديبية، وكان يلوم نفسه على ذلك التذمر ويستغفر الله، وما يقال عن

عمر يقال عن سائر المتذمرين.

تلك لمحات عن مشاوراته الجماعية، أما مشاورته لأكثر من واحد من أصحابه، فكانت في ثلاث غزوات.

فقد استشار أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، في أسرى غزوة بدر من المشركين، فكان رأي أبي بكر الصديق إحياءهم، وكان رأي عمر الفاروق إفناءهم، فأخذ برأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال لهما: «لو اجتمعتما ما عصيتكما».

وأرى أن رأي النبي ﷺ، كان موافقاً لرأي أبي بكر الصديق، فقد كان رحيماً كريماً، كما أن مكانة أبي بكر أكبر من مكانة عمر عند النبي ﷺ، ومكانتها عظيمة في نفسه على كل حال، وكان أبو بكر معروفاً بالرأي السديد والعقل الراجع والحكمة، وكذلك عمر، ولكن عمر حسنة من حسنات أبي بكر.

والعفو عن الناس أقرب إلى طبيعة النبي ﷺ. وفي غزوة حمراء الأسد طلب النبي ﷺ من أبي بكر الصديق ومن عمر بن الخطاب المشورة فأشارا عليه بالخروج إلى حمراء الأسد لمطاردة المشركين خوفاً من عودتهم إلى المدينة ثانية، فأخذ النبي ﷺ بمشورتها، وخرج بالمسلمين إلى حمراء الأسد.

واستشار النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في إعطاء شيء من تمر المدينة إلى غطفان، لينسحبوا من مساندة الأحزاب في غزوة الخندق، فأشارا عليه بعدم إعطائهم شيء، فأخذ النبي ﷺ بمشورتها.

ونتعلم من هذه الاستشارات الثلاث درسين: الأول: هو أن يدخر المسؤول المستشارين من ذوي الأمانة والرأي والخبرة والإخلاص، يشاورهم في الأمور المهمة العاجلة. والثاني: هو أن يستشير ذوي الاختصاص باختصاصهم، فقد استشار أبا بكر الصديق وعمر بن

الخطاب رضي الله عنهما، وهما من قريش، بأمر أسرى المشركين في بدر، وهم من قريش أيضاً. واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة بأمر تمر المدينة، وهما سيدا الأوس والخزرج من الأنصار وسيدا أهل المدينة. أما استشارة أبي بكر وعمر في أمر الخروج إلى حمراء الأسد، فهما أقرب أصحابه إليه، وكانا دوماً إلى جانبه، وكان أمر الخروج إلى حمراء الأسد أمراً عاجلاً لا يحتمل الابطاء كما انهما مستشاراه المقربان ووزيراه، فاستشارهما.

أما مبادرة النبي ﷺ أربع مرات باستشارة أفراد من أصحابه، فكانت الأولى في غزوة الخندق، حيث استشار النبي ﷺ المسلمين في الأسلوب الأمثل للدفاع عن المدينة في المدينة، فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق.

والثانية: كانت في غزوة الطائف، حيث استشار الحباب بن المنذر في اختيار معسكر جديد للمسلمين، فاختار الحباب المعسكر المناسب، وانتقل إليه المسلمون.

والثالثة: في هذه الغزوة أيضاً، حيث استشار النبي ﷺ نوفل بن معاوية الديلي في حصار الطائف: استمرار الحصار، أم فك الحصار.

والرابعة: في استشارة سلمان الفارسي في أسلوب التعجيل باستلام الطائف، فأشار سلمان بنصب المنجنيق.

وقد أخذ النبي ﷺ بمشورة المشيرين، الذين بادروا النبي بعرض بمشورتهم، والذين بادرهم النبي ﷺ باستشارتهم، ولم يغفل رأي واحد منهم، ولم يقابل مشورة واحد منهم إلا بالتطبيق العملي والتقدير.

د. نستطيع أن نستنتج من هذه الدروس والعبر:

أولاً: ان النبي ﷺ كان يكثر من استشارة أصحابه، قال أبو هريرة: «فلم أر أحداً كان أكثر مشاورة لأصحابه من

رسول الله ﷺ»[٢٣٥] ليستخرج الرأي الأمثل، وليدرب أصحابه على تطبيق هذا المبدأ الإسلامي الجليل، ولتبقى الشورى من مبادى الإسلام ما بقي الإسلام والمسلمون.

ثانياً: أصبحت الشورى شائعة بين الصحابة عليهم رضوان الله، اقتداء بالرسول ﷺ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من أصحاب الرسول ﷺ»[٢٣٦].

ثالثاً: شجّع النبي ﷺ أصحابه على إبداء آرائهم في مجال الشّورى، كما شجّع المبادرة بابداء المشورة له في الوقت والمكان المناسبين، وقد رأينا كيف كان يعمل بمشورتهم ويطبقها عملياً ويدعو لهم.

رابعاً: إذا عرض له رأيان متناقضان، أخذ بأيسرهما وأكثرهما رحمة وحناناً، كما رأينا في أمر أسرى المشركين في بدر. أما إذا كان هذان الرأيان متناقضين في أمر يمسّ الشجاعة والاقدام، فإنه يأخذ بالرأي الذي يتسم بالشجاعة والاقدام، على الرأي الذي قد يُتّهم بالخور والضعف، فقد أخذ برأي الراغبين بالخروج إلى أحد، وبرأي الذين أصرّوا على حصار الطّائف، على الرغم من أن ذلك كان يخالف رأيه الشّخصي، هذا بالإضافة إلى الأسباب الأخرى التي حملته على التنازل عن رأيه للأخذ برأي الأغلبية كما ذكرنا.

خامساً: كان المسلمون كافة موضع شورى النبي ﷺ، ولكن كان له مستشارون مقرّبين كأبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان يعرف مزايا أصحابه فرداً فرداً، فيستشير أبا بكر وعمر في

---

(٢٣٥) مغازي الواقدي (٢/٥٨٠).

(٢٣٦) تفسير الزمخشري (١/٣٣٢).

قضايا قريش بخاصة، ويستشير سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في قضايا الأنصار خاصة، ويستشير الحباب بن المنذر في القضايا التعبوية، ويستشير سلمان الفارسي ونوفل بن معاوية الديلي في القضايا السوقية.

سادساً: كان إذا انتهى دور الشورى واتخذ قراراً وأعلنه، لا يرجع عنه بل يطبقه: ﴿**فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ (سورة آل عمران، آية ١٥٩) كما جرى في غزوة أحد، حتى ولو كان قراره نتيجة للشورى مخالفاً لرأيه، وحتى إذا عاد أصحاب الرأي المخالف إلى رأي النبي ﷺ، وما أعظم قوله للذين تخلّوا عن رأيهم: «لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه»، فهذا الكلام لبّ الجنديّة في كلّ زمان ومكان.

سابعاً: أما إذا لم ينته دورُ الشّورى، وكان للنبي ﷺ رأي يخالف رأي الشّورى، فلا يرى بأساً من الأخذ برأي الشورى والعمل به وتطبيقه وإغفال رأيه وعدم العمل به أو تطبيقه.

ولا أعرف أحداً يستطيع تطبيق ذلك بدون حرج ولا إحراج، غير النبي ﷺ.

لقد سجل المؤرخون المعتمدون وكُتّاب السِّيرة النبوية إحدى وعشرين استشارة عسكرية نبوية، وهو عدد ضخم بكلّ مقياس واعتبار.

فإذا كان المسجّل من الاستشارات العسكرية هذا العدد الضخم، فلا بدّ أن يكون عدد آخر إضافياً لم يسجّل، لأنه لم يجر علناً، أو لم يطلع عليه أحد، أو لم يتناقله الرواة.

لقد كان النبي ﷺ يتقن فنّ الشّورى إتقاناً متميزاً، ويتقن أساليب تطبيقاتها، ويتقن طرق تعليمها لمن حوله بخاصة ولأصحابه بعامة وللأجيال من بعده.

وأتساءل: أي مسئول، يتقبّل مبادرة رجاله بمشورته، ويتقبل تلك المشورة ويطبقها، حتى ولو سئل مخالفة لرأيه الصريح؟.

أيّ مسؤول، لا يتخلّى عن استشارة رجاله الذين ثبت له خطل مشورتهم، ويعفو عنهم، ويستغفر لهم، ويعود إلى مشاورتهم من جديد؟

ولكن، إنه محمد رسول الله، وكفى.

د. لعل من المفيد إعطاء فكرة موجزة عن الشورى العسكرية في القوات المسلحة الحديثة، لنربط الحاضر بالماضي، ونتفهم الأسس المعتمدة للشورى العسكرية في عملها الدائب المستمر.

ومبدأ الشورى ثابت في جميع العصور والجيوش، ولكن التفاصيل تختلف في الحاضر عما كانت عليه في الغابر، ففي الوقت الذي كان عدد المستشارين محدوداً قبل قرون، أصبح كبيراً بعد اختراع البارود والأسلحة المتطورة وتوسع مسارح القتال وجبهات العمليات، كما كان المستشارون في القديم من البشر، فأصبحوا في العصر الحديث والحرب الحديثة من البشر ومن الآلات، كالحسابات (جمع حسابة)[٢٣٧] التي لا يكاد يستغني عنها جيش عصري حديث.

إلا أن هناك اختلافاً جوهرياً لا ينبغي السكوت عنه في الشورى العسكرية قديماً وحديثاً، هي أن القادة يختلفون إلى أبعد الحدود بأسلوب تطبيق الشورى العسكرية وبدرجة تطبيقها، فلكل قائد أسلوبه الخاص في تطبيق هذا المبدأ الحيوى، فمنهم من يستشير ولا يأخذ بالشورى، ومنهم من لا يستشير أحداً، ومنهم من يستشير ويطبق ما يستجد من آراء وأفكار، ومنهم من يعتقد أن الشورى مضيعة للوقت وأن المستشارين لا يقدمون ولا يؤخرون ووجودهم وعدمه سيان.

---

(٢٣٧) Computer.

الشّورى النبوية في المجال العسكري

التسلسل	الغزوة	التاريخ	موعد الاستشارة	المستشار أو المستشارون	النتائج
١	بدر الكبرى	رمضان من السنة الثانية الهجرية	في مسيرة الاقتراب	المهاجرون والأنصار	ضمان مشاركة الأنصار في القتال
			قبل نشوب القتال	الحُباب بن المنذر	تبديل معسكر المسلمين إلى معسكر مناسب وبادر الحباب بابداء المشورة
			قبل نشوب القتال	سعد بن معاذ	بناء العريش للنبي ﷺ وكانت المبادرة بابداء المشورة من سعد
			بعد المعركة	أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب	أشار أبو بكر في إبقاء الأسرى ، فأخذ النبي ﷺ بمشورته
٢	أُحُد	شوال من السنة الثالثة الهجرية	قبل نشوب القتال	كان رأي أغلب المسلمين الخروج إلى أُحد	أخذ النبي ﷺ برأي الأغلبية وخرج إلى أُحد
٣	حمراء الأسد	شوال من السنة الثالثة الهجرية	قبل نشوب القتال	أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب	أشارا بالخروج إلى حمراء الأسد فأخذ النبي ﷺ بمشورتها
٤	الخندق	ذو القعدة من السنة الخامسة الهجرية	قبل نشوب القتال	سلمان الفارسي	أشار بحفر الخندق فأخذ النبي ﷺ
			في أثناء القتال	سعد بن معاذ وسعد بن عبادة	أشارا بعدم إعطاء شيء من ثمار المدينة لغطفان ، فأخذ النبي ﷺ بمشورتها

٥	الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة الهجرية	في المدينة قبل الحركة	قسم من المسلمين (الاقلية)	أشاروا بالتسلح الكامل، فتسلح بأسلحة الراكب وأحرم المسلمون لاثبات نياتهم السلمية
			في عسفان في مسير الاقتراب	ذو الرأي من المسلمين	القتال دفاعاًعن النفس حسب، وقدأخذ بمشورتهم
			في الحديبية بعد الوصول إلى الهدف	ذوي الرأي من المسلمين (الأقلية)	تذمر قسم من المسلمين من المفاوضات ولكن أغلب ذوي الرأي كانوا مع النبي ﷺ في إقرار نياته السلمية
٦	خيبر	المحرم من السنة السابعة الهجرية	في أثناء القتال	الحباب بن المنذر	١) أشار بتبديل معسكر المسلمين، فعمل النبي ﷺ بمشورته.
					٢) أشار بقطع النخل، فعمل النبي ﷺ بمشورته
					٣) أشار بالتوقف عن قطع النخل، فعمل النبي ﷺ بمشورته
٧	حنين	شوال من السنة الثامنة الهجرية	الجعرانة بعد توقف القتال	المسلمون	في سبي هوزان، فكان المسلمون الأولون قد بادروا في التنازل عما بأيديهم من السبي، أسوة برسول الله ﷺ، أما المسلمون الجدد الذين حرصوا على سبيهم، فعوضهم الرسول ﷺ بما أرضاهم

٨	الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	في أثناء القتال	الحباب بن المنذر	اختيار معسكر جديد أكثر أمناً من المعسكر الأول، وانتقل المسلمون إلى معسكرهم الجديد.
			في أثناء القتال	سلمان الفارسي	أشار بنصب المنجنيق ورمي حصن الطائف به، فأخذ النبي ﷺ بمشورته
			في أثناء القتال	نوفل بن معاوية الديلي	أشار بالانسحاب عن الطائف، فوافق النبي ﷺ على مشورته
			في أثناء القتال	قسم من المسلمين	حرصوا على الاستمرار بالقتال، فوافق النبي ﷺ على ما أرادوا، حتى وجدوا أنه لا مسوغ ولا جدوى للقتال، فانسحبوا مستبشرين بالانسحاب
٩	تبوك	رجب من السنة التاسعة الهجرية	في تبوك بعد الوصول إلى الهدف	المسلمون	شاور النبي ﷺ في التقدم من تبوك شمالاً، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدم التقدم شمالاً، فأقر النبي ﷺ مشورة عمر.
			في تبوك تمهيداً للعودة إلى المدينة	عمر بن الخطاب	أذن النبي ﷺ للمسلمين أن ينحروا ركابهم ليأكلوها، فأشار عليه عمر ألاّ ينحر المسلمون ركابهم لأنها خسارة لا تعوض، وأن يجمع أرزاق المسلمين ويوزعها، فأقر مشورة عمر

والواقع، أن القائد هو الذي يذكي الحماسة في نفوس المستشارين ما عمل بمشورتهم، أما إذا لم يعمل بمشورتهم ويجمد نشاطهم بأسلوب أو بآخر، ولا يختار المستشارين الأكفاء القادرين الأمناء، فليس تخلف الشورى في جيشه ذنب المستشارين، إنما هو ذنب القائد الذي لا يقدر مبدأ الشّورى حق قدره، فكانت ثمراته نتيجة لذلك فجة غير يانعة لا تُغني ولا تُسمن من جوع.

والذين يؤثرون آراءهم على آراء مستشاريهم ولا يطبقون مبدأ الشورى نصاً وروحاً، لا يفعلون شيئاً أكثر من إلحاق الضرر بأنفسهم أولاً قبل كل شيء، وإلحاق الضرر بمصالح أمتهم وأمنها واستقرارها، وتكون عاقبته وعاقبة وطنه في خطر عظيم.

أما الذين يستشيرون ويعملون بالشورى ويشجعون المستشارين، فلهم الاستقرار والأمن في السلام والنصر، والظّفر في الحرب.

فلينظر المسؤول الكبير أو الصغير في السياسة أو الحرب، كيف يصنع فالمرء حيث يضع نفسه، كما يقول الحكماء.

والنظم السياسة مختلفة في الدول اختلافاً كبيراً والتنظيم العسكري مختلف أيضاً تبعاً للنظم السياسة ولعوامل أخرى لا فائدة من ذكرها في هذا المجال، ولكن يبقى مبدأ الشورى في مختلف النظم السياسية والتنظيمات العسكرية موحداً من حيث المبدأ مختلفاً من حيث التفاصيل. فمن المعروف أنه لا يوجد نظام سياسي ولا تنظيم عسكري إلا ويُقر مبدأ الشورى إذ لا يمكن الاستغناء عن هذا المبدأ في حال من الأحوال، وقد يغنينا عرض مبدأ الشورى في تلك النظم والتنظيمات عن التوسع في التفاصيل دون مسوّغ.

على رأس قمة هرم المستشارين في مختلف الدول، وزير الدفاع، فهو

المستشار العسكري من الناحية السياسية لرئيس الدولة، وهو الذي ينقل رغبات رئيس الدولة إلى القوات المسلحة وتوجيهاته، وينقل رغبات القوات المسلحة وحاجاتها إلى رئيس الدولة.

ولكن وزير الدفاع في مختلف نظم الدول لا يكون على نمط واحد، كما لا يكون في الحرب في دولة من الدول كما يكون في السلام. وكقاعدة غير مطردة، يكون وزير الدفاع في الدول الاشتراكية عسكرياً، ويتولى منصب القيادة العامة للقوات المسلحة في آن واحد، فيكون وزيراً للدفاع وقائداً عاماً للقوات المسلحة. أما في الدول الديمقراطية، فيكون وزير الدفاع مدنياً في السلام، وقد يكون عسكرياً في الحرب أو يكون ذا جذور عسكرية سابقة، أي أنه كان ضابطاً في الجيش وتسرح منه، أو كان ضابطاً من ضباط الاحتياط، أو أنه من الضباط المتقاعدين. ولكن في الغالب الأعم، يكون وزير الدفاع في الدول الديمقراطية مدنياً، تنصب كفايته على الناحية السياسية حسب في إداء واجبه بين رئيس الدولة والقوات المسلحة من جهة، وبين القوات المسلحة ورئيس الدولة من جهة أخرى.

ووسيلة الاتصال بين وزير الدفاع والجيش، يكون عبر قناتين غالباً: الأولى مقر وزير الدفاع الذي يضم عسكريين محترفين ينظمون الاتصال بين وزير الدفاع والقوات المسلحة والثانية هو هيئة رئاسة أركان الجيش إذا كان وزير الدفاع هو الوزير والقائد العام للقوات المسلحة كما هو الحال في معظم الدول الاشتراكية. أما إذا كان وزير الدفاع مدنياً، كما هو الحال في الدول الديمقراطية، فيكون اتصاله بالقوات المسلحة عن طريق القائد العام للقوات المسلحة إن وُجد هذا المنصب. وإلا يكون اتصاله بالقوات المسلحة عن طريق هيئة رئاسة أركان الجيش.

وهيئة رئاسة أركان الجيش، تختلف في تنظيمها بين الجيوش، فقد يكون للقوات البرية رئيس أركان عن شؤون القوات البرية، ومثله للقوات الجوية، ومثله للقوات البحرية، أي يكون للقوات المسلحة عادة ثلاثة من رؤساء أركان الجيش، يكون المسؤول عنهم القائد العام للقوات المسلحة من حيث القيام بواجباتهم وتنسيقها، وقد يكون للقوات المسلحة رئيس أركان الجيش واحداً، يكون مسؤولاً عن شؤون القوات البرية والقوات الجوية والقوات البحرية.

المهم، أن رئاسة أركان الجيش هي قمة الشورى العسكرية الفنية، وله معاونون، يتولّون الإشراف على قضايا العمليات والمخابرات والتدريب والتنظيم والتسليح والتجهيز والإعاشة والطبابة والأمور الإدارية كافة، ورئيس أركان الجيش يقدم المشورة للقائد العام أو لوزير الدفاع عن شؤون الجيش كافة بكل تفاصيلها في الوقت والزمان المناسبين.

وكما لرئيس أركان الجيش مقر فيه الأشخاص والأجهزة للنهوض بتلك الواجبات، فإن قادة التشكيلات الكبيرة والصغيرة لديهم مقرات تؤدي نفس واجبات مقر رئاسة أركان الجيش، ولكن يقل عدد الأشخاص والأجهزة بالتدريج في مقرات التشكيلات المتعاقبة حسب تنظيم الجيش المعمولة به، فيكون عدد الأشخاص والأجهزة في مقرات الجيوش أقل منها في رئاسة أركان الجيش، ومقرات تلك الجيوش أصغر حجماً من مقر رئاسة أركان الجيش، ولكنها تؤدي الواجبات نفسها.

ويكون عدد الأشخاص والأجهزة في مقرات الفيالق أقل منها في مقرات الجيوش، وتكون مقرات تلك الفيالق أصغر حجما من مقرات الجيوش. وتكون مقرات الفرق أصغر حجما من مقرات الفيالق، وتكون

مقرات الألوية أصغر حجما من مقرات الفرق، ولكنها تؤدي الواجبات نفسها كل ضمن نطاقه وبحسب التشكيل المسؤول عنه.

والسبب في أن المقرات تكون أصغر حجماً بالتدريج حسب سلسلة القيادة، هو لأن مقر رئاسة أركان الجيش مسؤول عن مقرات الفيالق التابعة له، ومقر الفيلق مسؤول عن مقرات الجيوش كافة، ومقر الجيش مسؤول عن مقرات الفرق التابعة له، ومقر الفرقة مسؤول عن مقرات الألوية التابعة له، وبذلك يقل عدد أشخاص المقرات وعدد أجهزتهم بالتدريج كلما صغر التشكيل الذي قبله في سلسلة القيادة ولكن الواجبات للمقرات كافة تبقى واحدة، وحجمها يقل بالتدريج أيضاً.

إن مقر اللواء هو مجلس شورى قائد اللواء، وأفراده مستشارون لقائد اللواء. وقائد اللواء مع قادة الألوية الآخرين مستشارون لقائد الفرقة. بالإضافة إلى مقر الفرقة الذي هو مجلس شورى قائد الفرقة كل حسب اختصاصه وواجبه. وقادة الفرق الذين يعملون بأمرة أحد الفيالق مستشارون لقائد الفيلق بالإضافة إلى مقر الفيلق الذي هو مجلس شورى قائد الفيلق كل حسب اختصاصه وواجبه. وقادة الفيالق الذين يعملون بأمرة جيش من الجيوش مستشارون لقائد الجيش بالإضافة إلى مقر الجيش الذي هو مجلس شورى قائد الجيش. وقادة الجيوش مستشارون لرئيس أركان الجيش، بالإضافة إلى مقر رئاسة أركان الجيش الذي هو مجلس شورى لرئيس أركان الجيش، ورئيس أركان الجيش، هو المستشار لوزير الدفاع وللقائد العام للقوات المسلحة. بالإضافة إلى مقر الوزير الذي هو مجلس شورى للوزير، وإلى مقر القائد العام للقوات المسلحة الذي هو مجلس شورى للقائد العام.

وتكون عدة وحدات بأمرة اللواء، وآمرو الوحدات هم المستشارون

لآمر اللواء، ومقر الوحدة هو مجلس شورى الوحدة. وترتبط عدة سرايا بكل وحدة، وآمرو السرايا هم المستشارون لآمر الوحدة، ومعاون آمر السرية ومقر السرية هو مجلس شورى السرية. وتتكون كل سرية من عدة فصائل ،ويكون آمرو الفصائل مستشارين لآمر السرية ،ويكون عريف الفصيلة مستشاراً لآمر الفصيلة. ويتألف الفصيل من عدة حضائر، ويكون أمراء الحضائر المستشارين لآمر الفصيل، ويكون نائب آمر الحضير مستشاراً لآمر الحضيرة.

وهكذا يتدرج المستشارون في الوحدات الصغيرة والكبيرة، وتتدرج مجالس الشورى لتلك الوحدات، ويتدرج المستشارون في التشكيلات الكبيرة والصغيرة أيضاً، وتتدرج مجالس الشورى لتلك التشكيلات حتى تصل القمة إلى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة.

أما رئيس الدولة، فقد يكون له عدد من المستشارين العسكريين في الرئاسة، ويكون وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس أركان الجيش مجلس الشورى له في القضايا العسكرية والسياسية: وزير الدفاع في القضايا السياسية التي لها علاقة بالجيش، والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس أركان الجيش في القضايا العسكرية الخاصة بالجيش.

تلك هو صورة موجزة للشورى والمستشارين في القوات المسلحة الحديثة، التي قد تختلف في الفروع من بلد إلى آخر، ولكن لا تختلف في المبدأ. ولم أتطرق إلى تفاصيل التنظيم في القوات المسلحة الحديثة عمداً، لأنها مختلفة في تلك القوات، ولو أن مبادىء التنظيم واحدة، فالفصيلة تتألف من حضائر، والسرية تتألف من فصائل، والوحدة تتألف من سرايا، واللواء يتألف من وحدات، والفرقة تتألف من ألوية، والفيلق يتألف من فرق، والجيش يتألف من فيالق، ولكن لم أتطرق إلى عدد تلك التشكيلات، أي لم أذكر عدد الفرق في الفيلق مثلاً، ولم

أتطرق إلى عدد تلك الوحدات، أي لم أذكر عدد الوحدات في كل لواء مثلاً، لأن تنظيمات الجيوش في الدول مختلفة جداً، ولا فائدة من ذكر تلك التفاصيل في مثل هذا البحث، لأن الهدف هو التركيز على الشورى الحديثة وأسلوبها وطريقة عملها، لمقارنة الشورى حديثاً بالشورى قديماً.

نستنتج من ذلك، أن هناك تشابهاً واضحاً بين الشورى العسكرية النبوية والشورى في الجيوش الحديثة من حيث المبدأ لا من حيث الأساليب والفروع.

فقد كان للنبي ﷺ مستشارون يلازمونه ويستعين بآرائهم في مختلف الظروف والأحوال، وكان على رأس هؤلاء المستشارين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. تماماً كما لرؤساء الدول والقادة العامين للدول، مستشارون يلازمونهم ويستعينون بآرائهم.

وكان للنبي ﷺ مستشارون يختصون بقسم من الصحابة، فقد كان يستشير أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب في الأمور التي تخص المهاجرين، وكان يستشير سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في الأمور التي تخص الأنصار. وكان له مستشارون في القضايا التعبوية كالحُباب بن المنذر ومستشارون في القضايا السوقية كسلمان الفارسي، وكان له مستشارون في الطرق ومجاهلها وهم الإدلاء وأسماؤهم مذكورة في كتب السيرة النبوية، وكان له مستشارون في نقل المعلومات كحذيفة بن اليمان وله مستشارون في مختلف الأمور العسكرية وغير العسكرية، تذكرهم كتب السيرة بالتفصيل. تماماً كما لرؤساء الدول والقادة العامين للدول مستشارون في مختلف الأمور العسكرية وغير العسكرية.

وكان أصحاب النبي ﷺ كافة مستشارين فقد استشار من معه منهم في مواقف كثيرة، واستجاب لما أبدوه من آراء، ولا أعلم رئيساً من رؤساء الدول وقائداً عاماً من قادتها المسلحة يتخذ من كل أفراد شعبه

إن كان رئيساً، ومن كل أفراد قواته المسلحة، إن كان قائداً عاماً، مستشارين يعرض عليهم معضلاته ويستجيب لما يشيرون به عليه!

وهذه ميزة للشورى النبوية هي بحق من أعظم الميزات.

وكان مستشارو النبي ﷺ من المؤمنين برسالته، وكانت مشورتهم يريدون بها وجه الله، ولا يريدون بها السمعة ولا المكافأة ولا الترقية ولا الأوسمة ولا شيئاً من أمور الدنيا المادية والمعنوية إنها مشورة صادرة عن القلوب العامرة بالإيمان العميق.

أما المستشارون المحدثون، فهم موظفون من موظفي الدولة، يتقاضون أجراً على مشورتهم ويريدون بها السمعة أو المكافأة أو الترقية أو الأوسمة وغير ذلك من أمور الدنيا المادية والمعنوية، فهي مشورة في واقعها صادرة عن الجيوب المحبة للمادة ومتاع الدنيا. وشتان بين الشورى الصادرة عن القلوب والشورى الصادرة عن الجيوب، وهيهات أن ترقي شورى العقول العامرة بالمادة، إلى مستوى شورى العقول العامرة بالإيمان.

وتلك هي ميزة ثانية للشورى العسكرية النبوية، على غيرها من ألوان الشورى العسكرية في العصر الحديث.

وكان النبي ﷺ لا يكتفي بالشورى، بل يشجع أصحابه على المبادرة بابداء مشورتهم وكان من وسائله التشجيعية على غرس روح هذه المبادرة في أصحابه، الأخذ بمشورة المبادرين والدعاء لهم، ووضع مشورتهم في حيز التنفيذ، ولو كانت مخالفة لرأيه الصريح.

ولا أعرف رئيساً أو قائداً عاماً في الوقت الراهن، يشجع رجاله على المبادرة بالشورى، ويأخذ بها ويطبقها إذا كانت مخالفة لآرائه الصريحة.

وتلك هي ميزة ثالثة للشورى العسكرية النبوية على غيرها من الشورى الحديثة.

وكان النبي ﷺ يتنازل عن رأيه الصريح ويأخذ برأي الأكثرية، ولا أعرف رئيساً أو قائداً عاماً يتنازل عن رأيه الصريح من أجل آراء المستشارين، والمتعارف عليه أن يقرأ المستشارون رأي الرئيس أو القائد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ويتنازلوا عن آرائهم من أجل ابراز رأيه واقراره.

وتلك هي ميزة رابعة للشورى العسكرية النبوية على غيرها من الشورى الجديدة.

وكان النبي ﷺ يعاود استشارة أصحابه الذين أخطأوا في مشورتهم من قبل، ويعفو عن المخطئين ويستغفر لهم، أما الرئيس أو القائد العام في الوقت الراهن، فلا أقل من أن يتخلص من الذين استشارهم فأخطأوا، هذا إذا لم يضف على تخليه عن استشارتهم التشنيع والعقاب.

وهذه ميزة خامسة للشورى العسكرية النبوية، لا أعرف لها نظيراً في الشورى العسكرية الحديثة.

وكان النبي ﷺ يكثر من استشارة أصحابه، ليستخرج الرأي الأرجح وليدرب أصحابه على تطبيق هذا المبدأ الإسلامي الجليل، وليغرس الشورى في أمته، فأصبحت الشورى شائعة بين الصحابة مبدأ وتطبيقاً.

وهذه ميزة سادسة للشورى العسكرية النبوية.

تلك هي مجمل الفروق بين الشورى العسكرية النبوية وبين الشورى العسكرية الحديثة، ومجمل نقاط التشابه بينهما في حالة وجود شورى عسكرية تطبق بشكل مثالي في جيش من الجيوش العالمية.

أما في حالة وجود شورى مظهرية، وبخاصة في إصدار القرارات الخطيرة، فلا مجال للمقارنة بين الشورى العسكرية النبوية والشورى

العسكرية في الجيوش التي تلتزم بمظهر الشّورى ولا تلتزم بروحها.

وفي أحسن أحوال الشورى العسكرية الحديثة، ومقارنة تلك الشورى العسكرية المثالية الحديثة، بالشورى النبوية في العسكرية الإسلامية، نلمس السمات المميزة للشورى العسكرية النبوية على الشورى العسكرية المثالية الحديثة، ولا عجب في ذلك، لأن الشورى العسكرية النبوية روح ومادة، والشورى العسكرية المثالية الحديثة مادة حسب، وشتان بين الأسلوبين، وشتان بين الثرى والثريا.

٢ - في المعاهدات النبوية:

أ. اقتضى منهج البحث في الشورى العسكرية النبوية، مراجعة غزوات النبي ﷺ وابراز الشورى العسكرية في تلك الغزوات.

وكان النبي ﷺ قد عقد معاهدة مع يهود المدينة بعد هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهي معاهدة تمهيدية للصراع الحاسم بين المسلمين والمشركين، فمن المفيد ذكر ما يتصل بصلة هذه المعاهدة بالشورى العسكرية والجهاد الوشيك.

كما أن النبي ﷺ عقد معاهدة مع بني ضمرة في إحدى غزواته، فمن المفيد ذكرها هنا، لأن المجال لم يسمح بذكرها مع الغزوات الأخرى، بسبب أن تلك الغزوة لم يكن فيها شورى عسكرية نبوية.

وعقد النبي ﷺ معاهدة مع خزاعة ومعاهدة مع أسلم، لم تذكرا في الغزوات، لأن تلك الغزوات لم تكن فيها شورى عسكرية نبوية.

ومن الواضح أن هناك علاقة قوية بين مبدأ الشورى والمعاهدات النبوية عموماً، فقد كان المفاوضون لعقد تلك المعاهدات وشهود عقدها وكتابها مستشارين في الواقع، يستشيرهم النبي ﷺ في عقد المعاهدات وفي إبرامها، فالشورى قاسم مشترك بين غزوات النبي ﷺ ومعاهداته.

أما المعاهدات الأخرى التي عقدت في الغزوات التي مارس النبي ﷺ فيها مبدأ الشورى، كغزوة الحديبية وغزوة تبوك، فقد ذكرت في مكانها، وسنذكر الدروس والعبر المستخلصة منها.

إن المعاهدات قبل الإسلام كان يفرضها القوي على الضعيف لفرض سلطانه على الضعيف أو المغلوب، حتى إذا قوي الضعيف نبذها. وقاتل لاخراج نفسه من نير القوي. وإنها إلى عهد قريب كانت لا تخرج عن ذلك كثيراً، فهي أيضاً كانت صورة لقوة الأقوياء وليست عملاً لتنظيم السلم العادل، لذلك لا تلبث هذه المعاهدات أن تنقض.

والقرآن الكريم لا ينظر إلى المعاهدات التي يسوغ إبرامها ذلك النظر، فهو يأمر بالوفاء بالعهد وفاءً مطلقاً غير مقيد بضعف أو قوة، ولكنه مقيّد بوفاء من تعاقد معهم، فالوفاء بالعهد ليس علاجاً لحال وقتيه، ولكنه لانشاء حال السلم وتثبيتها.

وإذا كان الأصل في العلاقة هو السلم، فالمعاهدات إما تكون لإنهاء حرب عارضة والعود إلى حال السلم الدائمة، أو إنها تقرير للسلم وتثبيت لدعائمة، لكيلا يكون من بعد ذلك العهد احتمال اعتداء، إلا أن يكون نقضاً للعهد.

ولقد كان عمل النبي ﷺ منبئاً عن مقاصده في العهود، فما كانت للتحكم، ولكن كانت لتقرير السلم وتنظيم الجوار، وإنهاء أحوال الحرب أحياناً أخرى.

ولنذكر شيئاً من معاهدات النبي ﷺ، ومنها يستبين مقدار ما فيها من تقرير للسلم، أو تنظيم للحوار.

ب. كانت معاهدة النبي ﷺ مع يهود المدينة، فإنه عليه الصلاة والسلام لما جاء إليها، كان بها من القبائل العربية الأوس والخزرج، ويهود، وقد أسلم من القبلتين، وبقي منها مشركون ويهود، فعقد معاهدة

قوامها حسن الجوار، واشترط عليهم شروطاً والتزم لهم بحقوق، والأساس فيها تنظيم السلم فيما بينهم وبينه، وقد جاء في هذه المعاهدة: «إن اليهود يتفقون مع المؤمنين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[٢٣٨] إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس، وبني النبيت مثل ما ليهود بني عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن عليهم النصر على من حارب هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة على البر دون الإثم، وإنه لم يأثم أمرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإن نصر الله لمن اتقى بين أهل هذه الصحيفة وأبر. وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح فانهم يصالحون، وإذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإنه لا يحول دون هذا الكتاب ظلم ظالم أو إثم آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة آمن إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى»[٢٣٩].

ونرى من هذا، أن المعاهدة كانت لحسن الجوار، ولتثبيت دعائم العدل، ويلاحظ أن فيها نصاً صريحاً على نصر المظلوم، فهو عهد عادل لإقامة السلم وتثبيته بالعدل ونصر الضعيف. وكل معاهداته عليه الصلاة والسلام من هذا الصنف[٢٤٠].

---

(٢٣٨) يوتغ: يوبق.

(٢٣٩) البداية والنهاية (٣/٢٢٤ - ٢٢٦)، والعلاقات الدولية في الإسلام - الشيخ محمد أبو زهرة - (٧٥ - ٧٦) - القاهرة - ١٣٨٤ هـ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في: مجموعة الوثائق السياسية (١٥ - ٢١).

(٢٤٠) العلاقات الدولية في الإسلام (٧٦).

جـ. وقد عاهد النبي ﷺ بني ضمرة، في غزوة العشيرة[٢٤١] التي كانت في جمادي الآخرة من السنة الثانية الهجرية والتي لم يلق فيها كيداً، عاهد بني ضمرة، وهذا نص ذلك العهد: «**بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد رسول الله لبني ضمرة، بأنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من رامهم، ألا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة، وأن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه، وعليهم بذلك ذمة الله ورسوله**»[٢٤٢].

ونرى من هذا، أن هذه المعاهدة كانت حرة لتنظيم علاقات سليمة حرة، مع التحالف على النصرة، وليس فيها إكراه على دين. بل كانت دعوة إلى سلم بين المتعاقدين، ونصر حر لا إثم فيه[٢٤٣].

د. وعاهد رسول الله ﷺ خُزاعة في جمادي الآخرة سنة ثمان الهجرية، وذلك أنه أسلم قوم من العرب كثير، ومنهم من هو بعد مقيم على شركه. ولما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لم يبق أحد من خزاعة إلا مسلم مصدق، لذلك كتب رسول الله ﷺ إلى خزاعة:

---

(٢٤١) ذو العشيرة: موضع من ناحية ينبع بين مكة والمدينة، انظر معجم البلدان (١١/٦).

(٢٤٢) انظر القسطلاني والسهيلي: نقلاً عن الهامش (٢) من سيرة ابن هشام (٢/٢٣٦)، وانظر طبقات ابن سعد (١/٢٧٤ - ٢٧٥)

(٢٤٣) العلاقات الدولية في الإسلام (٧٧).

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله.

إلى بديل[٢٤٤] وبشر[٢٤٥] وسروات بني عمرو.

سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الله لا إله إلا هو. أما بعد! فإني لم آثم بالكم، ولم أضع في جنبكم، وإن أكرم تهامة[٢٤٦] على أنتم وأقربهم رحماً أنتم ومن تبعكم من المطيبين[٢٤٧]. فإني قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسي - ولو هاجر بأرضه - غير ساكن مكة إلا معتمراً أو حاجاً، وإني لم أضع فيكم إذ سالمت، وإنكم غير خائفين من قبلي ولا محصورين. أما بعد! فإنه قد أسلم علقمة بن علاثة[٢٤٨] وابناه،

---

(٢٤٤) بديل بن ورْقاء الخُزاعي: أسلم يوم فتح مكة، ولجأت قريش إلى داره يوم فتح مكة، وشهد حُنيناً والطّائف وتبوك، وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل: أسلم قبل الفتح. وتوفي بديل قبل النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أمره أن يحبس النساء والأموال بالجعرانة معه حتى يقدم، يعني غنمها في حُنين، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (١/١٧٠) والإصابة (١/١٤٦) والاستيعاب (١/١٥٠).

(٢٤٥) في طبقات ابن سعد (١/٢٧٢): بُسْر.

(٢٤٦) تهامة: المنطقة التي تساير البحر الأحمر منها مكّة، والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٣٦ - ٤٣٨).

(٢٤٧) المطيّبون: خمس قبائل، وهم بنو مناف، وبنو أسد، وبنو تَيْم، وبنو زُهرة، وبنو الحارث، سمّوا بذلك لأن بني عبد مناف لما أرادوا أخذ ما في أيدي بني عبد الدار من الحِجابة والرِّفادة واللواء والسقاية، وأبي بنو عبد الدار، عقد كل قوم على أمرهم حِلفاً مؤكداً على ألاّ يتخاذلوا، ثم خلطوا أطياباً، وغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً، فسمّوا المطيَّبين، انظر المعجم الوسيط (٢/٥٧٣).

(٢٤٨) علقمة بن علاثة العامري الكلابي: كان من أشراف بني ربيعة بن عامر. وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان سيداً في قومه حليماً عاقلاً. ولما عاد النبيّ ﷺ من الطائف ارتد علقمة ولحق بالشام، فلما توفي النبيّ ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كلاب =

وتابعاً وهاجراً على من تبعهما من عكرمة، أخذت لمن تبعني منكم ما آخذ لنفسي، وإن بعضاً من بعض أبداً في الحل والحرم، وإني والله ما كذبتكم وليحبكم ربكم»[٢٤٩]، وكان الكتاب بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢٥٠].

ولا يمكن أن تكون هناك معاهدة أكثر دقة ولطفاً وشفقة وحناناً ورحمة مما أباده النبي ﷺ لخزاعة، مع أن هذه المعاهدة عقدت سنة ثمان الهجرية، والمسلمون يومها كانوا في أوج قوتهم، ولكن لا عبرة للقوة في الميزان النبوي، بل الرحمة والسلام هو الميزان الأول والأخير.

وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي ﷺ من شهر ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية، يوم عقد النبي ﷺ معاهدة صلح الحديبية بين المسلمين من جهة ومشركي قريش من جهة أخرى، وقد ذكرنا نص المعاهدة في غزوة الحديبية - انظر نص المعاهدة.

= ابن ربيعة، فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه سرية، فانهزم منهم، وغنم المسلمون أهله وحملوهم إلى أبي بكر، فجحدوا أن يكونوا على حال علقمة، ولم يبلغ أبا بكر عنهم ما يكره، فأطلقهم. ثم أسلم علقمة، فقبل ذلك منه أبو بكر، وحسن إسلامه، واستعمله عمر بن الخطاب على حوران، فمات بها، وكان الحطيئة خرج إليه، فمات علقمة قبل أن يصل إليه الحطيئة، فأوصى له علقمة كبعض ولده، فقال الحطيئة في أبيات.

فما كان بيني لو لقيتك سالماً　　　وبين الغنى إلاّ ليال قلائل

انظر التفاصيل في: أسد الغابة (١٣/٤) والإصابة (٢٦٤/٤ - ٢٦٦) والاستيعاب (١٠٨٨/٣).

(٢٤٩) مغازي الواقدي (٧٤٩/٢ - ٧٥٠).

(٢٥٠) أسد الغابة (١٧٠/١).

ولكن عهد خزاعة القديم للنبي ﷺ على أهميته البالغة ووفاء خزاعة في عهدها للمسلمين ووفاء المسلمين لهم - وهذا هو شأن المسلمين في الوفاء - لا يكفي أن تكون معاهدة النبي الجديدة لخزاعة بهذه الرقة والرحمة واللين والمودة، فهي طراز نبوي فريد في المعاهدات لا يعرف أحدٌ نظيراً له.

هـ. أما معاهدة صلح الحديبية التي جاء فيها: «أنه من أتى محمداً منهم (أي من قريش) بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم ترده، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا قابل في أصحابه، فيقيم ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر: السيوف في القرب» مما أدى إلى تذمر كثير من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ لم يرضوا بإعادة المسلمين الجدد القادمين من قريش إلى المسلمين دون إذن أوليائهم إعادتهم إلى قريش، في الوقت الذي لا تعيد فيه قريش من أتاها من أصحاب النبي ﷺ. وللوهلة الأولى ظن المتذمرون من المسلمين أن في ذلك إجحافاً بالمسلمين، فما دام المسلمون يردون إلى قريش المسلمين الجدد القادمين من قريش إلى المسلمين بدون إذن أوليائهم، فلا بد أن يكون بالمقابل أن ترد قريش إلى المسلمين من أتاها من أصحاب النبي ﷺ، ليكون في المعاهدة توازن مقبول. ولكن الواقع يدل على أن المسلمين الجدد يأتون من قريش بدون إذن أوليائهم، ولا يمكن أن يلتحق بقريش أحد من المسلمين، وهذا ما أثبتته الأحداث بصورة عمليّة.

ثم إن إعادة المسلمين من الحديبية عن مكة دون أدائهم العمرة ليس إهانة للمسلمين بل هي نصر، لأنهم سيعودون إلى مكة للعمرة بعد عام

دون حرب، بينما إذا ما أصروا على دخولها هذا العام فلن يتم ذلك إلا بالحرب، والنصر هو في تحقيق دخول مكة ولو بعد عام بالسلام، وهو نصر واضح في كل ميزان.

وقد جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو[٢٥١] مسلماً، فرده النبي ﷺ إلى المشركين وقال له: «**يا أبا جندل! اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً! إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً، وإنا لا نغدر**»[٢٥٢].

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير[٢٥٣]

---

(٢٥١) أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري: أسلم بمكة، فسجنه أبو وقيده، فلما كان يوم الحديبية هرب إلى النبي ﷺ، فأعاده إلى أبيه، فقام عمر بن الخطاب يمشي إلى جانب أبي جندل وأبوه يبتلّه، وهو يقول: «أبا جندل! اصبر واحتسب، فإنما هم المشركون، وانما دم أحدهم دم كلب»، وجعل عمر يدني قائم السيف، فضن أبو جندل بأبيه، خرج هو وأبوه إلى الشام مجاهدين حتى ماتا في خلافة عمر بن الخطاب، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (١٦٠/٥ - ١٦٢) والإصابة (٣٣/٧) والاستيعاب (١٦٢١/٤ - ١٦٢٣).

(٢٥٢) انظر التفاصيل في: مغازي الواقدي (٦٠٧/٢ - ٦٠٩).

(٢٥٣) أبو بصير: واسمه عُتْبَة بن أسيد بن جارية حليف بني زُهرة، أقبل بعد صلح الحديبية إلى المدينة مسلماً، فكتب إلى رسول الله ﷺ الأخنس بن شريق الثّقفي والأزهر بن عبد عوف وبعثا كتابها مع مولى لهما ورجل من بني عامر بن لؤي استأجراه ليرد عليهم صاحبهم أبا بصير، فقدما على رسول الله ﷺ، ودفعا إليه كتابها، فدعا رسول الله ﷺ أبا بصير وقال له: «**يا أبا بصير! إنّ هؤلاء القوم قد صالحونا على ما قد علمت، وإنّا لا نغدر، فالحق بقومك**»، فقال: «يا رسول الله! تردّني إلى المشركين يفتنوني في ديني!»، فقال رسول الله ﷺ: «**اصبر يا أبا بصير واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين من المؤمنين فرجاً ومخرجاً**». وخرج أبو بصير وخرجا، حتى إذا كانوا بذي الحليفة جلسوا إلى سور جدار، فقال أبو بصير للعامري: «أصارم سيفك؟»، قال: «نعم»، قال: «انظر إليه»، قال: «إن شئت»، فسله وضرب عنق العامري، وخرج المولى يشتد، وطلع على رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه قال: «هذا رجل قد رأى فزعاً». فلما انتهى إليه قال: «قتل صاحبكم صاحبي». فما برح حتى طلع أبو=

مسلماً، فأمر رسول الله ﷺ أبا بصير أن يرجع إلى مكة مع رجلين قدما لإعادته، وقال له: «**يا أبا بصير! إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً**».

وقال أبو بصير للعامري أحد الرجلين اللذين يرافقانه إلى مكة: «يا أخا بني عامر! أصارم سيفك هذا؟»، قال: «نعم»، فقال: «ناولينه أنظر إليه إن شئت»، فناوله العامري السيف، فأخذ أبو بصير بقائم السيف والعامري ممسك بالجفن، فعلاه به حتى برد وخرج المشرك الثاني الذي مع أبي بصير يعدو حتى وصل إلى المدينة قبل أبي بصير. وكان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد، إذ طلع المشرك يعدو، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هذا رجل قد رأى ذعراً**». وأقبل المشرك فقال للنبي ﷺ: «قتل صاحبكم صاحبي»، وطلع أبو بصير فقال: «يا رسول الله! وفت ذمتك وأدى الله عنك، وقد أسلمتني بيد العدو، وقد امتنعت بديني من أن أُفتن، فقال رسول الله ﷺ: «**ويل أمة، محش حرب**[٢٥٤] **لو كان معه رجال**»، وقال لأبي بصير: «**اذهب حيث جئت**».

= بصير متوشّح السيف، فوقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! وفت ذمتك، وقد امتنعت بنفسي»، فقال رسول الله ﷺ: «**ويلُ أمّه، محشُّ حرب لو كان معه رجال**» يقال: حش الحرب، إذا أسعرها وهيّجها تشبيهاً بأسعار النار (انظر النهاية (١/٢٣٠). وخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص، وكان طريق أهل مكة إلى الشام، فسمع به من كان بمكة من المسلمين، فلحقوا به، حتى كان في عصبة من المسلمين قريب من ستين أو سبعين، وكانوا لا يظفرون برجل من قريش إلا قتلوه، ولم يمرّ بهم عير إلاّ اقتطعوها، حتى كتبت فيهم قريش إلى رسول الله ﷺ يسألوه بأرحامهم لما آواهم، ففعل، فقدموا عليه المدينة. وكان أبو بصير مريضاً حين وصل إليه كتاب رسول الله ﷺ بالعودة إلى المدينة، فقرأ الكتاب ومات، انظر التفاصيل في: أسد الغابة (٥/١٤٩-١٥٠) والإصابة (٧/٢١) والاستيعاب (٤/١٦١٢-١٦١٤).

(٢٥٤) محش حرب: يقال حش الحرب إذا أسعرها وهيجها، تشبيهاً بأسعار النار، انظر النهاية (١/٢٣٠).

وخرج أبو بصير حتى أتى العيص[٢٥٥]، فنزل منه ناحية على ساحل البحر. وبلغ المسلمين الذين حبسوا بمكة قول النبيّ ﷺ لأبي بصير: «**محش حرب لو كان معه رجال**»، فجعلوا يتسللون إلى أبي بصير حتى اجتمعوا عنده قريب من سبعين رجلاً، فضيقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا نفر عير إلا اقتطعوها، حتى أحرقوا قريشاً.

ولما بلغ أبو بصير من قريش ما بلغ من الغيظ، بعثت قريشٌ رجلاً وكتبت إلى رسول الله ﷺ كتاباً يسألونه بأرحامهم: «ألا تدخل أبا بصير وأصحابه، فلا حاجة لنا بهم».

وكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه معه، فجاءه الكتاب وهو يموت، فجعل يقرأ وهو يموت، فمات وهو في يديه، فقبره أصحابه هناك وصلوا عليه، وبنوا على قبره مسجدا.

وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون رجلاً[٢٥٦].

وهكذا وفى النبيّ ﷺ بما جاء بمعاهدة صلح الحديبية: يرد المسلمين الذين يأتونه بدون إذن أهليهم. تلك الفقرة التي تذمر منها قسم من المسلمين وحسبوها إجحافاً بحقوق المسلمين، فتبين لهم أنها إجحاف بحقوق المشركين من قريش لا بحقوق المسلمين، وبقيت الدعوة إلى السلام والوفاء بالعهود الهدف الرئيسي لهذه المعاهدة، بعيداً عن الانفعالات التي أبداها قسم من المسلمين في حينه دون مسوغ، لأنهم لم ينظروا بعيدا، وتغلبت عليهم العواطف الجياشة، ولكنهم عادوا إلى رشدهم بعد حين لمسوا نتائج هذه الفقرة الباهرة على المسلمين من جهة وعلى

---

(٢٥٥) العيص: موضع من ناحية ذي المروة على ساحل البحر الأحمر، بطريق قريش التي كانوا يسلكونها من مكة إلى الشام في تجارتهم. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٨/٦).

(٢٥٦) انظر التفاصيل في: مغازي الواقدي (٦٢٤/٢ - ٦٢٩).

المشركين من جهة أخرى، وزيارة مكة بدون قتال بعد عام.

و. وعقد رسول الله ﷺ معاهدة مع أسلم[٢٥٧]، فقد جاءته وهو بغدير الأشطاط[٢٥٨] في طريقه من المدينة إلى مكة لفتحها، جاء بهم بريدة بن الحصيب[٢٥٩] فقال: «يا رسول الله! هذه أسلم وهذه محاضها، وقد هاجر إليك من هاجر منها، وبقي قوم منهم في مواشيهم ومعاشهم»، فقال رسول الله ﷺ: «**أنتم مهاجرون حيث كنتم**».

وأمر النبيّ ﷺ أن يكتب لأسلم كتاباً، وهذا نصه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

هذا كتاب من محمد رسول الله لأسلم لمن آمن منهم بالله، وشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فإنه آمن بأمان الله، وله ذمة الله وذمة رسوله، وإن أمرنا وأمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم، اليد واحدة، والنصر واحد، ولأهل باديتهم مثل ما لأهل

---

(٢٥٧) بنو أسْلَم بن أفْصَى بن عامِر بن قَمَعَة بن الياس بن مُضَر، انظر جمهرة أنساب العرب (٢٤٠).

(٢٥٨) غدير الأشطاط: على ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة، انظر: وفاء الوفا (٣٥٢/٢).

(٢٥٩) بريدة بن الحصيب الأسلمي: يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا سهل، وقيل أبا الحصيب، والمشهور أبو عبد الله. أسلم حين مرّ به النبي ﷺ مهاجراً هو ومَن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتاً، فصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فصلّوا خلفه. وأقام بريدة بأرض قومه، ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد أحُد، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان تحت الشجرة وكان من ساكني المدينة، ثم تحوّل إلى البصرة وابتنى بها داراً، ثم خرج إلى خَرَاسان فأقام بمرو حتى مات ودفن بها، وبقي ولده بها. انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (٢٤١/٤ - ٢٤٣) وأسد الغابة (١٧٥/١ - ١٧٦) والإصابة (١٥١/١) والاستيعاب (١٨٥/١ - ١٨٦) وتهذيب الأسماء واللغات (١٣٣/١) وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٤٣٢/١ - ٤٣٣) وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤٧).

قرارهم، وهم مهاجرون حيث كانوا »[٢٦٠] فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: « يا رسول الله! نعم الرجل بريدة بن الحصيب بقومه. عظيم البركة عليهم، مررنا به ليلة مررنا ونحن مهاجرون إلى المدينة، فأسلم معه من قومه من أسلم » فقال رسول الله ﷺ: « **نعم الرجل بريدة لقومه وغير قومه يا أبا بكر، إن خير القوم من كان مدافعاً عن قومه ما لم يأثم، فإن الإثم لا خير فيه** »[٢٦١].

وهذه المعاهدة، معاهدة دفاعية، تجعل أسلم ضمن المنظومة الدفاعية الإسلامية، ويبدو أن فائدتها واضحة قبل فتح مكة، لقرب ديار أسلم من مكة قبل فتحها وإسلام أهلها، ولوجود قبائل لم تسلم بعد في منطقتها، وإبرام هذه المعاهدة بين النبيّ ﷺ وبين أسلم يعطي حماية مضمونة لأسلم هي حماية المسلمين لهم إذا اعتدي عليهم.

أما بعد فتح مكة، وإسلام أهل مكة، وإسلام القبائل المجاورة لمكة والقبائل التي في منطقة أسلم، فقد أصبحت هذه المعاهدة ليست ذات موضوع. إذ من واجب المسلمين الدفاع عن أسلم إذا تعرضوا للاعتداء، ومن واجب المسلمين حماية أسلم لأنهم مسلمون، والمسلم أخو المسلم يدافع عنه ويحميه.

ز. ونعود إلى المعاهدات النبوية التي كانت من ثمرات غزوة تبوك، وهي: معاهدة أكيدر صاحب دومة الجندل، ومعاهدة ايلة وتيماء، وأهل أذرح، وأهل جرباء، ومعاهدة أهل مقنا وبني جنبة، فقد دفع مال

---

(٢٦٠) مغازي الواقدي (٧٨٢/٢) وانظر طبقات ابن سعد (٢٧١/١)، ونصه: « لأسْلَم من خُزاعة لمن آمن منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وناصح في دين الله، أنّ لهم النّصر على مَنْ دَهمَهم بظلم، وعليهم نصر النبي ﷺ إذا دعاهم، ولأهل باديتهم ما لأهل حاضرتهم، وأنهم مهاجرون حيث كانوا »، والنص الأول يشابه النص الثاني في معناه ويختلف عنه في مبناه، ولأن النص الأول أقدم من النص الثاني، فقد اعتمدناه.

(٢٦١) مغازي الواقدي (٧٨٢/٢).

للمسلمين سنويا، من أهل الذمة، فيقتضي معرفة موجز لتعاليم الإسلام في الذميين، وفي الجزية.

إن الذمة في اللغة: الأمان والعهد، وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى ويهود وغيرهم من يقيم في دار الإسلام[٢٦٢]. وقد جاء في الحديث الشريف: «**ويسعى بذمتهم أدناهم..**» وفسر الفقهاء: ذمتهم، بمعنى الأمان[٢٦٣] ويؤيد ذلك ما قالوه في تفسير عقد الذمة بأنه اقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة[٢٦٤]. وعلى ذلك يمكن القول بأن عقد الذمة عقد يصير بمقتضاه غير المسلم بذمة المسلمين، أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأييد، وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام[٢٦٥].

وقد شرع عقد الذمة بعد فتح مكة، ويؤيد هذا أن آية الجزية المتضمنة عقد الذمة وهي قوله تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية...**﴾[٢٦٦]، وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة الهجرية، أي بعد فتح مكة[٢٦٧].

أما حكمة مشروعية عقد الذمة فهو أن يترك المقاتل غير المسلم

---

(٢٦٢) القاموس المحيط (١١٥/٤) وشرح السِّير الكبير (١٦٨/١)، فالمراد بالذمة العهد موقتاً كان أو مؤبداً.

(٢٦٣) كشاف القناع (٧٠٤/١).

(٢٦٤) كشاف القناع (٧٠٤/١) وكشف المخدرات (٢٠٦).

(٢٦٥) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام (٢٢).

(٢٦٦) سورة التوبة، آية ٢٩، انظر تفسير الآية الكريمة في الكشاف للزمخشري (٢٩/٢-٧٠) وتفسير ابن كثير (١٤٤/٤ - ١٤٥) وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير (٤٤٣/٤ - ٤٤٥) وتفسير البيضاوي (٦٥/٣).

(٢٦٧) أحكام القرآن للجصاص (١٤٢/١).

القتال، مع احتمال دخوله في الإسلام، على طريق مخالطته للمسلمين، واطلاعه على شرائع الإسلام، وليس المقصود من عقد الذمة الحصول على المال[٢٦٨].

وعقد الذمة عقد لازم في حق المسلمين، فلا يملكون نقضه ما لم يظهر من الذمي ما يقتضي نقضه. وأما في حق الذمي، فهو عقد غير لازم، إذا يحتمل النقض من جهته[٢٦٩].

وحقوق الذميين على المسلمين: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، وقد قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنما قبلوا عقد الذمة، لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا»[٢٧٠] وفي شرح السير الكبير: «ولأنهم قبلوا عقد الذمة، لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم»[٢٧١] ويعلل بعض الفقهاء مساواة الذمي للمسلم في بعض التكاليف المالية، بأن الذمي بعقد الذمة صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم[٢٧٢]. ومن هذا يتضح أن الذميين - كقاعدة عامة - كالمسلمين في الحقوق والواجبات[٢٧٣].

وكان من حق الذميين التمتع بالحقوق السياسية، كتولي الوظائف

---

(٢٦٨) المبسوط (١٠/٧٧) والكاساني (٧/١١١) ونيل الأوطار للشوكاني (٨/٥٨) وشرح السِّير الكبير (٣/٢٥٤): «لأنّا إنّما قبلنا منهم عقد الذمّة، ليقفوا على محاسن الدين، فعسى أن يؤمنوا».

(٢٦٩) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام (٤٢).

(٢٧٠) الكاساني (٧/١١٧) وسنن الدارقطني (٢/٣٥٠): «وَمَنْ كانت له ذمتنا، فدمه كدمنا».

(٢٧١) شرح السِّير الكبير للسرخسي (٣/٢٥٠).

(٢٧٢) الكاساني (٢/٣٧).

(٢٧٣) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام (٧١).

العامة عدا الخلافة[٢٧٤]، أي الإمامة، والإمارة على الجهاد[٢٧٥]، فمن البدهي أن يكون رئيس الدولة الإسلامية مسلماً، وأن يكون أمير المجاهدين مسلماً، لأن الجهاد يلتزم به المسلم دون الذمي، وإن كان للذميين أن يشتركوا مع المسلمين في الدفاع عن دار الاسلام ويلتزموا هذا الواجب[٢٧٦].

فيما عدا الوظائف القليلة التي يشترط فيمن يتولاها أن يكون مسلماً، يجوز إشراك الذميين في تحمل أعباء الدولة وإسناد الوظائف العامة إليهم. وقد دل على ذلك الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ففي الكتاب العزيز قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾**[٢٧٧].

وقد نزلت هذه الآية فيمن كانت لهم ذمة وعهد من رسول الله ﷺ[٢٧٨]، وهي لم تنه المسلمين من اتخاذ بطانة منهم بصورة مطلقة، وإنما قيدت النهي بقيود واردة فيها، أي أن النهي منصب على من ظهرت عدواتهم للمسلمين، فهؤلاء لا يجوز اتخاذهم بطانة، ومعنى هذا أن الذميين الذين لا تعرف لهم عداوة للدولة الإسلامية، يجوز للمسلمين اتخاذهم بطانة يستودعونهم الأسرار ويستعينون برأيهم في شؤون الدولة[٢٧٩]، ومعنى وذا أيضاً جواز إسناد الوظائف العامة إليهم التي

---

(٢٧٤) إرشاد إلى قواطع أدلّة في أصول الاعتقاد (٤٢٧) ومتن المنهاج ومغني المحتاج (١٢٩/٤ - ١٣٠).

(٢٧٥) الأحكام السلطانية للماوردي (٣٣) والأحكام السلطانية لأبي يعلى (٣).

(٢٧٦) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام (٧٨).

(٢٧٧) سورة آل عمران، آية ١١٨.

(٢٧٨) تفسير الطبري (٦٣/٤ - ٦٤).

(٢٧٩) تفسير المنار (١١١/٤).

هي دون البطانة في المركز والأهمية.

وفي السيرة النبوية ما يؤيد قولنا، من ذلك ما جاء بصدد غزوة بدر الكبرى بين المسلمين بقيادة النبيّ ﷺ وبين مشركي مكة، فقد أسر المسلمون في هذه الغزوة سبعين أسيراً من المشركين، وكان من هؤلاء من لا مال له، فجعل النبيّ ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، بأن يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان الأنصار ويخلى سبيله[٢٨٠]، فهذا الأثر يفيد أن النبيّ ﷺ استخدم غير المسلمين في شأن من شؤون الدولة الإسلامية، وهو تعليم بعض المسلمين الكتابة. وفي السيرة النبوية أيضاً، أن النبي ﷺ لما توجه إلى مكة سنة ست الهجرية، وصل إلى مكان ذي الحليفة[٢٨١] فبعث عيناً من خزاعة يخبره عن قريش[٢٨٢]، وكان هذا العين كافراً[٢٨٣]، ومع هذا أسند النبيّ ﷺ اليه هذه المهمة الخطيرة. ولا شك في أن النبيّ ﷺ أمنه ووثق به واطمأن إليه، مما يدل على جواز إسناد وظائف الدولة العامة إلى الذميين ما داموا أهلاً لها من حيث الكفاية والثقة والأمانة.

فالكتاب والسنة إذاً، يدلان على جواز إسناد الوظائف العامة إلى الذمي ما دام ثقة ذا كفاية، وهذا في الحقيقة أقصى ما يمكن من التسامح والتساهل مع المخالفين في الدين لا نجد له نظيراً في القديم والحديث. وفي ظل هذا التسامح الإسلامي الكريم، صرح فقهاء الشريعة الإسلامية بجواز تقليد الذمي وزارة التنفيذ[٢٨٤] ووزير التنفيذ يبلغ

---

(٢٨٠) إمتاع الأسماع للمقريزي (١/٣٩ و ٤١) وزاد المعاد لابن القيم (٢٠٢).

(٢٨١) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة باتجاه مكة، ومنها ميقات أهل المدينة، انظر معجم البلدان (٣/٣٢٩).

(٢٨٢) زاد المعاد (٤/٣١٢).

(٢٨٣) الأحكام السلطانية للماوردي (٢٤ - ٢٥).

(٢٨٤) الأحكام السلطانية (٢٤ - ٢٥).

أوامر الإمام ويقوم بتنفيذها، ويمضي ما يصدر عنه من أحكام[٢٨٥]، كما نص الفقهاء على جواز إسناد وظائف أخرى إلى الذميين كجباية الخراج[٢٨٦].

إذا تجاوزنا أقوال الفقهاء إلى واقع الدول الإسلامية، نجد أنّ المسلمين في مختلف العصور يشركون أهل الذمة في أعمال الدولة، فقد رأينا كيف أعاد النبيّ ﷺ أكيدر بعد مصالحته الى مقرّه في دومة الجندل، وبقي يحكمها حتى بعد انتقال النبيّ ﷺ الى الرفيق الأعلى. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاءه سبى قَيْسارية جعل بعضهم في الكتابة وأعمال المسلمين[٢٨٧]، وسليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي عهد بالاشراف والنفقة على بنائه مسجد الجماعة ببلدة الرَّمْلة الفلسطينية الى كاتب نصراني يقال له: البطريق ابن النكا[٢٨٨].

ولما فتح المسلمون مصر، أبقوا العمال البيزنطيين، وكان من هؤلاء شخص يدعى: ميناس، كان هرَقْل قد ولاّه أعمال المنطقة الشمالية من مصر. ومن الأشخاص المعروفين أثناسيوس، الذي شغل بعض مناصب الحكومة بمصر في زمن الأمويين، حتى بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الاسكندرية، وهكذا كانت عادة الأمويين في تعيين النصارى في وظائف الدولة، وقلما خلا منهم ديوان من دواوينها، حتى كان لمعاوية بن أبي سفيان كاتب نصراني اسمه: سرجون. وفي زمن العباسيين، عيّن الخليفة ابو جعفر المنصور يهودياً اسمه موسى، كان أحد اثنين في جباية الخراج. وعيّن المأمون أحد وجهاء بؤرة[٢٨٩] اسمه: بكام رئيساً لبلدته

(٢٨٥) الأحكام السلطانية للماوردي (٢٥).

(٢٨٦) الأحكام السلطانية للماوردي (١٢٦) والأحكام السلطانية لأبي يعلى (١٢٤).

(٢٨٧) فتوح البلدان (١٩٥).

(٢٨٨) فتوح البلدان (١٩٥)

(٢٨٩) بؤرة: مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط، انظر معجم البلدان (٣٠٢/٢).

وإقليمها. وقد تولى الوزارة في زمن العباسيين بعض النّصارى أكثر من مرّة، منهم نصر بن هارون سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة الهجرية وعيسى بن نسطورس النصراني سنة ثمانين وثلاثمائة الهجرية[٢٩٠].

وقد جاء في كتاب: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز: «لم يكن التشريع الإسلامي ما يُغلق دون أهل الذمّة أي باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخاً في الصنائع التي تدرّ عليهم الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجّاراً وأصحاب ضياع وأطباء»[٢٩١]. «أما حياة الذمّي عند أبي حنيفة وابن حنبل، فإنها تكافىء حياة المسلم، وديته دية المسلم، وهي مسألة مهمّة جداً من حيث المبدأ. أما عند مالك فدية اليهودي أو النصرانيّ نصف دية المسلم، وعند الشّافعي ثلثها»[٢٩٢]. «ولم تكن الحكومة الإسلامية تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة، بل كان يبلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويأمر بصيانتهم»[٢٩٣]. «وعلى أن الكنيسة الرسمية للدولة الورمانية الشرقية قد ذهبت في معاداتها للمسيحيين الذين يخالفون رجالها في التفكير أبعد مما ذهب إليه الإسلام بالنسبة لأهل الذمة، فلما أعاد الأمبراطور نقفور افتتاح جزء من بلاد الشام في القرن الرابع الهجري - القرن العاشر الميلادي - كان مما وعد به أهل الشام وأمنهم به، أن يحميهم من مضايقة كنيسة الدولة، ولكنه رغم هذا الأمان لم يأل جهداً في مضايقة اليعقوبيين،فاضطرهم مثلاً إلى الخروج من أنطاكية،

---

(٢٩٠) أهل الذمة في الإسلام - أ. س. ترتون - ترجمة حسن حبشي (١٦٩) - القاهرة ١٩٤٩ م.

(٢٩١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٢) - نقلاً عن كتاب: الخراج - قدامة بن جعفر - ليدن - ١٨٨٩ م.

(٢٩٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٣).

(٢٩٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٤).

لذلك نجد مؤرخي اليعقوبيين، يصفون البطارقة التي عينتهم الدولة في أنطاكية بأنهم أضل من فرعون وأشد كفراً من بختنصر. ولما أعيد احتلال ملطية أُخذ بطريرك اليعاقبة وسبعة من كبار أساقفتهم إلى القسطنطينية وسجنوا هناك، ووضع الملكانيون أيديهم على الكنيسة الكبرى في ملطية، فأما البطريرك فإنه مات منفيا على حدود بلغاريا، وكذلك مات أحد أصحابه في السجن، ورجم الثالث أمام قصر الأمبراطور، ورجع ثلاثة منهم عن المذهب اليعقوبي وأعيد تعميدهم، ولكنهم لم يجدوا السكينة التي يرجونها، وصاروا موضع السخرية كأنهم شياطين. وأخيرا لم يستطع رهبان الكنيسة السريانية أن يقيموا في مقر بطريقهم بعد دخول المذهب الملكاني - وبعد أن أعيدت أنطاكية إلى المسيحية كما يقول الملكانيون - فاضطروا إلى الانتقال إلى آمد طلباً لتسامح أكثر في بلاد المسلمين. ولقد منعت الكنيسة الرسمية نصارى إرمينية من استعمال النواقيس[٢٩٤]، وكثيراً ما كان رجال السلطة المسلمون يتدخلون بين الفرق النصرانية لمنعهم من المشاجرات، حتى عين حاكم أنطاكية في القرن الثالث الهجري رجلاً يتقاضى ثلاثين ديناراً من النصارى في الشهر، وكان مقره قرب المذبح، وعمله أن يمنع المتخاصمين من قتل بعضهم بعضا»[٢٩٥]. «وكان أهل الذمة يعاملون في مستشفيات بغداد معاملة المسلمين»[٢٩٦].

ولما كان الشرع الإسلامي خاصاً بالمسلمين، فقد خلّت الدولة الإسلامية بين الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من

---

(٢٩٤) وهكذا فعلت الكنيسة الإنكليزية مع الكاثوليك حتى القرن التاسع عشر الميلادي، ولا تزال اسبانيا وصقلية تفعلان ذلك حتى اليوم مع البروتستانت.

(٢٩٥) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى (٥٧).

(٢٩٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٧).

أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون، يقومون مقام كبار القضاة أيضاً، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون. ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل إلى جانت تلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به »[٢٩٧].

ولكثرة إسناد الوظائف العامة إلى الذميين في الدولة الإسلامية، وشيوع هذا الأمر قال آدم متز أحد مؤرخي الغرب: « من الأمور التي نعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية »[٢٩٨].

والدولة العثمانية، وهي الدولة الإسلامية المتأخرة، جرت على ما جرت عليه الدول الإسلامية الأخرى، وزادت عليه، فكانت تسند الوظائف المختلفة الى رعاياها من غير المسلمين، وجعلت أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الأجانب من النصارى[٢٩٩].

إن الذميين عوملوا من المسلمين معاملة لا نظير لها، والادعاء بخلافه لا أساس له من الصحة. والواقع وشهادة المنصفين من الأجانب خير دليل.

وقد نصّ القرآن الكريم بوضوح، على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من**

(٢٩٧) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٨). وهذه نماذج مما جاء في هذا الكتاب، فمن أراد التفاصيل فلينظر (٤٤ - ٧٦).

(٢٩٨) كتاب الإسلام انطلاق لاجمود - الدكتور مصطفى الرافعي دار مكتبة الحياة بيروت ص (١٦). وانظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٦٧/١) آدم متز - ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٦ هـ.

(٢٩٩) تفسير المنار (٨٤/٤).

دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[٣٠٠].

واقرأ الآية الكريمة، وهي من أواخر آيات القرآن الكريم نزولا، فهي تحدد أيضاً علاقة المسلمين بغيرهم: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٣٠١].

من ذلك يفهم، أن علاقة المسلمين بغير المسلمين، بر، وقِسْط، وتعاون، ومصاهرة، ولا يمكن أن تكون العلاقة بين أصحاب عقيدة بغيرهم الذين على غير عقيدتهم بمثل هذه القوّة والرّسوخ.

أما عن الجزية، فمن يقرأ بتدبّر وإمعان كلّ ما كتبه ابن قيم الجوزيّة (٦٩١ هـ-٧٥١ هـ) في كتابه: أحكام أهل الذمّة[٣٠٢]، عن الجزية يكبر سماحة الإسلام في معاملة الذميين. فحين يعرض للآية الكريمة: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[٣٠٣] يأبى تفسير هذا الصغار بالأمتهان والاذلال، ويصرِّح بأن هذا كلّه لا دليل عليه، ولا هو مقتضى الآية، ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة[٣٠٤]، ثم يؤثر

---

(٣٠٠) سورة الممتحنة، الآيتان ٨ - ٩.

(٣٠١) سورة المائدة، آية ٥.

(٣٠٢) أحكام أهل الذمة - ابن قيم الجوزية - تحقيق وتعليق الدكتور صبحي الصالح ط ١ دمشق ١٣٨١ هـ.

٣٠٣) سورة التوبة، آية ٢٩.

(٣٠٤) انظر مقدمة التحقيق - الدكتور صبحي الصالح - (٧ - ٨) - أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (٢٣).

تفسير الصغار بالتزام الذميين جريان أحكام الملّة عليهم وإعطاء الجزية[٣٠٥].

وينتقل من هذا إلى تحريم تكليف الذميين ما لا يقدرون عليه أو تعذيبهم على أداء الجزية أو حبسهم أو ضربهم[٣٠٦]، ويصوِّر وجهة النظر الإسلامية أدق التصوير حين يرى أن: «قواعد الشريعة كلها تقتضي ألاّ تجب الجزية على عاجز لقوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**﴾[٣٠٧]، ولا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة»[٣٠٨]، فيصرح بأنه لا جزية على شيخ فانٍ ولا زَمِن ولا أعمى ولا مريض لا يرجى برؤه وإن كانوا موسرين[٣١٠]، وأن الرهبان في الصّوامع والديارات ليسوا من أهل القتال، فلا تجب عليهم الجزية[٣١٠]، وأن الفلاحين الذين لا يقاتلون والحرّاثين لا جزية عليهم، لأنّهم يشبهون الشّيوخ والرّهبان[٣١١]، وأن العبد ليس عليه جزية لمسلم كان أو لذمي[٣١٢]، وأن المسلمون لو حاصروا حصناً فيه نساء، فبذلن الجزية لتعقد لهن الذمة، عقدت لهن بغير شيء وحرم استرقاقهن[٣١٣]، ويستشهد بقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال: «ما أنصفناك! أن كنا أخذنا الجزية منك في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك!»، ثم اجرى عليه من بيت المال ما يصلحه[٣١٤].

(٣٠٥) أحكام أهل الذمة (٢٤).
(٣٠٦) أحكام أهل الذمة (٣٤).
(٣٠٧) أحكام أهل الذمة (٤٨)، سورة الطلاق، آية ٧.
(٣٠٨) أحكام أهل الذمة (٤٨).
(٣٠٩) أحكام أهل الذمة (٤٩).
(٣١٠) أحكام أهل الذمة (٥٠).
(٣١١) أحكام أهل الذمة (٥١)
(٣١٢) أحكام أهل الذمة (٥٥).
(٣١٣) أحكام أهل الذمة (٤٥).
(٣١٤) أحكام أهل الذمة (٣٨).

تلك لمحات مما ذكره ابن قيم الجوزية في كتابه القيِّم، وهي تخالف اتهامات أعداء الإسلام، فالجزية ليست عوضاً مالياً عن دم أو عقيدة، إنما هي لحماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم، وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء.. يدل على ذلك أن جميع المعاهدات التي تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد المفتوحة، كانت تنص على هذه الحماية في العقائد والأموال. وقد جاء في عهد خالد بن الوليد لأهل الحيرة: «... وعلى المنَعة، فإن لم يمنعهم، فلا شيء عليهم حتى يمنعهم»[٣١٥].

وليس ذلك حسب، بل أعفى الإسلام دافع الجزية من الخدمة العسكرية في الجيش، والذمي الذي يقبل التطوع في الجيش الإسلامي تسقط عنه الجزية، وهذا معناه أن الجزية تشابه البدل النقدي للخدمة العسكرية في عصرنا الحاضر: «فلا بدّ من الجزية ممن يقيم ولا يحارب»، فقبل ذلك، وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين، وفيمن لم يكن عنده الجزاء، إلا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة[٣١٦].

لقد جاء الإسلام داعيا إلى السلام، وإن كان أشد ما يبغضه الاستسلام، فسلام الإسلام سلام الأقوياء لا سلام الضعفاء. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن على المسلمين واجب الأخذ بالسلم وهم أقوياء، إذا مال العدو للسلم، فقال تعالى: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾[٣١٧].

---

(٣١٥) الطبري (٣/٣٦٤).

(٣١٦) الطبري (٤/١٥٦) وانظر ابن الأثير (٣/٢٨)، وانظر التفاصيل في كتابنا: قادة فتح العراق والجزيرة (٥٢٥ - ٥٣٢).

(٣١٧) سورة الأنفال، الآيتان ٦١ - ٦٢.

والسبيل لاستقرار السلام، هو معاهدات الأمان، وعدم الاعتداء.

ولكنّ المعاهدات لا تستمد قوتها من نصوصها، بل من عزيمة عاقديها على الوفاء، ولذلك حثّ القرآن الكريم على الوفاء، واعتبر الوفاء بالعهد والميثاق قوّة، والنكث فيه أخذاً في أسباب الضعف، وأن من يوثق عهده بيمين الله، فقد اتخذ الله كفيلاً بوفائه، فإذا غدر بعهده فقد اتخذ عهد الله للغش وزيف القول. وأشار سبحانه وتعالى في بعض نصوص القرآن الكريم إلى أن الوفاء بالعهود هو المقصد الأسمى الذي يتجه إليه المؤمن الحقّ. وقد ورد هذا النص الجامع في قوله تعالى: ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾[٣١٨].

ومعنى قوله تعالى: ﴿**ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا**﴾(سورة النحل، آية ٩٢)، أنّ مَنْ ينقض عهده يكون كتلك الحمقاء التي تغزل غزلها وتقويه، ثم تنقضه، وفي هذا إشارة إلى أنّ العهد قوّة، ونكثه إزالة لهذه القوة. ومعنى قوله تعالى: ﴿**تتخذون أيمانكم دخلا بينكم**﴾ أن تتخذ العهود للغش والخديعة، وما هذا يرضاه الله. ومعنى قوله: ﴿**أن تكون أمة هي أربى من أمة**﴾، أن تكون أمة

(٣١٨) سورة النحل، الآيات ٩١ - ٩٥.

أكثر عدداً ونماءً وسعة في الأرض من أمة أخرى، فإن القوة التي تكون من نقض العهود مآلها الزوال. ومعنى قوله تعالى: ﴿**فتزل قدم بعد ثبوتها**﴾، أن نقض العهود يؤدي إلى ضعف القوّة، والنقض في ذاته زلل للأمم.

وإذا كان القرآن الكريم يدعو إلى تقوية العهود وتنفيذها، وإلقاء الأمن بين الناس بها، فإنّ النبيّ ﷺ، قد حثّ في طائفة كثيرة من الأحاديث المرويّة عنه على الوفاء بالعهود عامة، وعلى الوفاء بالعهود التي يعقدها رؤساء الدول في تنظيم العلاقات الدولية خاصة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أخبركم بخياركم؟ خياركم الموفون بعهودهم**»، ويقول: «**أنا أحقّ مَنْ وفى بعهدْ**».

وكان ينهى عن الغدر بمقدار حثّه على الوفاء، وكان يعتبر أعظم الغدر غدر الحكام، فهول بقوله: «**لا غادر أعظم غدراً من أمير عامة**»، ويقول عليه الصلاة والسّلام: «**ولكلّ غادر لواء يوم القيامة، وأكبر لواء غدر أمير عامة**»، ولا يقتصر الوفاء في الإسلام على الأقوياء، بل يشمل الضعفاء والأقوياء، على السّواء[٣١٩].

إنّ المعاهدات النبويّة ترتكز على ثلاثة مبادىء: الشّورى، والسلام، والوفاء. ومبدأ الشورى ضمن لها العدل المطلق بين المسلمين والطرف الثاني، وضمن لها السداد والتوفيق. والسلام العادل والوفاء المطلق، ضمن لها أن يؤثر الطرف الثاني المسلمين على الروم وحلفائهم والفرس وحلفائهم، ومهد الطريق للمسلمين للفتح الإسلامي، لأن أصحاب البلاد المفتوحة كانوا مع المسلمين على الروم والفرس: مع العدل على الظلم، ومع السلام على الحرب، ومع الوفاء على الغدر.

---

(٣١٩) العلاقات الدولية في الإسلام - الشيخ ابو زهرة - (٤٠ - ٤١) - القاهرة - ١٣٨٤ هـ.

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

والحمد لله كثيراً، وصلّى الله على رسول الله وسلامه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري):

١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - طهران - ١٣٧٧ هـ.
٢ - تجريد أسماء الصحابة - حيدر آباد الدكن (الهند) - ١٣١٥ هـ.
٣ - الكامل في التاريخ - بيروت - ١٣٨٥ هـ.

ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري):

٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر - القاهرة - بلا تاريخ.

ابن تغري بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي):

٥ - النجوم الزّاهرة - القاهرة - ١٣٤٨ هـ.

ابن تيميَّة (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن عبدالله الحراني الدمشقي الحنبلي):

٦ - السياسة الشرعية - طبعة مكتبة المثنى - بغداد - بلا تاريخ.

ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي):

٧ - تاريخ عمر بن الخطاب - القاهرة - بلا تاريخ.

٨ - صفة الصّفوة - ط١ - حيدر آباد الدكن (الهند) - ١٣٥٥ هـ.

ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي):

٩ - المحبَّر - تحقيق ايلزه ليختن شتيتر - بيروت - ١٣٦١ هـ.

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي الكناني العسقلاني):

١٠ - الإصابة في تمييز الصحابة - القاهرة - ١٣٢٥ هـ.

١١ - تهذيب التهذيب - حيدر آباد الدكن (الهند) - ١٣٢٧ هـ.

١٢ - فتح الباري بشرح البخاري - بولاق القاهرة - ١٣٠١ هـ.

ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي):

١٣ - أسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة - القاهرة - بلا تاريخ.

١٤ - أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم ملحق بجوامع السيرة - القاهرة - بلا تاريخ.

١٥ - جمهرة أنساب العرب - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة - ١٣٨٢ هـ.

١٦ - جوامع السيرة - تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد - مراجعة الشيخ أحمد محمد شاكر - القاهرة - بلا تاريخ.

ابن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل):

١٧ - المسند - ط ١ - بولاق القاهرة - ١٣١٣ هـ.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربيّ):

١٨ - تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) - بيروت - ١٩٦٦ م.

ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزّهري):

١٩ - الطبقات الكبرى - بيروت - ١٣٧٦ هـ.

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر):

٢٠ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - تحقيق علي البجاوي - القاهرة - بلا تاريخ.

ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي):

٢١ - أحكام القرآن - ط ١ - القاهرة - ١٣٣١ هـ.

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر):

٢٢ - تهذيب ابن عساكر - دمشق - ١٣٢٩ هـ. (التهذيب لبدران).

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحيّ بن عماد الحنبلي):

٢٣ - شذرات الذّهب - القاهرة - ١٣٨٧ هـ.

ابن قيّم الجوزيّة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية أو ابن القيّم):

٢٤ - اعلام الموقعين عن رب العالمين - القاهرة - ١٩٥٥ م.

٢٥ - زاد المعاد في هدي خير العباد - القاهرة - ١٣٣٩ هـ.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي):

٢٦ - البداية والنهاية - بيروت - ١٩٦٦م.

٢٧ - تفسير ابن كثير - القاهرة - ١٣٤٧ هـ.

ابن ماجه (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني):

٢٨ - سنن ابن ماجه - القاهرة - ١٣١٣ هـ.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرّم الأنصاري):

٢٩ - لسان العرب - طبعة بولاق القاهرة - بلا تاريخ.

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري):

٣٠ - السيرة النبوية - تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - ١٣٥٦ هـ.

أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا):

٣١ - المختصر في أخبار البشر - القاهرة - بلا تاريخ.

أبو الفرج الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسن الأصبهاني):

٣٢ - الأغاني - طبعة دار الكتب في القاهرة - بلا تاريخ.

أبو نعيم (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني):

٣٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - القاهرة - ١٣٥١ هـ.

أبو يوسف (القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة):

٣٤ - الخراج - القاهرة - ١٣٤٦ هـ.

أحمد رضا:

٣٥ - معجم متن اللغة - بيروت - ١٣٧٨ هـ.

الآلوسي (أبو الثناء شهاب الدين الألوسي):

٣٦ - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني - القاهرة - ١٣٤٥ هـ.

البخاري (الإمام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي):

٣٧ - صحيح البخاري - القاهرة - ١٣٧٦ هـ.

البغوي (الإمام البغوي المفسر):

٣٨ - تفسير البغوي - القاهرة - ١٣٤٧ هـ.

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري):

٣٩ - أنساب الأشراف - الجزء الأول - تحقيق الدكتور محمد حميد الله - القاهرة - ١٩٥٩ م.

٤٠ - فتوح البلدان - تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع - بيروت - ١٣٧٧ هـ.

بينز (نورمان بينز):

٤١ - الامبراطورية البيزنطية - تعريب الدكتور حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد - القاهرة - بلا تاريخ.

البيضاوي (القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي):

٤٢ - تفسير البيضاوي - القاهرة - ١٣٣٥ هـ، وحاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي عن تفسير البيضاوي، وحاشية زاده على تفسير البيضاوي - طبعة دار الطباعة القاهرة - ١٣٦٣ هـ.

البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي):

٤٣ - السنن الكبرى - حيدرآباد الدكن (الهند) - ١٣٤٤ هـ.

الترمذي (أبو عبد الله محمد بن عيسى بن سورة الترمذي):

٤٤ - صحيح الترمذي - القاهرة - ١٢٩٢ هـ.

الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص):

٤٥ - أحكام القرآن - القاهرة - ١٣٤٧ هـ.

الحكيم (سعيد عبد المنعم الحكيم المحامي):

٤٦ - الرقابة على أعمال الادارة في الشريعة الإسلامية والنّظم المعاصرة - القاهرة - ١٩٧٦ م.

الخضري (محمد الخضري):

٤٧ - تاريخ الأمم - القاهرة - ١٩٦٩ م.

٤٨ - تاريخ التشريع الإسلامي - ط٦ - القاهرة - بلا تاريخ.

خطّاب (محمود شيت خطاب):

٤٩ - الرسول القائد - ط٥ - بيروت - ١٣٩٤ هـ.

٥٠ - سفراء النبيّ ﷺ - مخطوط.

٥١ - قادة النبيّ ﷺ - مخطوط.

الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي):

٥٢ - تاريخ بغداد - القاهرة - ١٣٤٩ هـ.

الخطيب (محمد أحمد الشربيني الخطيب):

٥٣ - مغنى المحتاج شرح المنهاج - القاهرة - ١٣٥٢ هـ.

خليفة بن خياط:

٥٤ - تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري - النجف - ١٣٨٦ هـ.

الدوري (قحطان عبد الرحمن الدوري):

٥٥ - الشورى بين النظرية والتطبيق - بغداد - ١٩٧٤م.

الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي):

٥٦ - تاريخ الإسلام - القاهرة - ١٣٦٧ هـ.
٥٧ - تلخيص المستدرك - الرياض - مطبوع مع كتاب المستدرك للزيلعي - بلا تاريخ.
٥٨ - دول الإسلام - حيدر آباد الدكن (الهند) - ١٣٦٤ هـ.
٥٩ - العبر في خبر مَنْ غَبَر - الكويت - ١٩٦٠م.

الرازي (محمد بن ضياء الدين عمر الرازي):

٦٠ - مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير - ط ١ - القاهرة - ١٣٠٨ هـ.

الزاوي (طاهر أحمد الزاوي):

٦١ - ترتيب القاموس المحيط - القاهرة - ١٩٥٩م.

الزبيدي (محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي):

٦٢ - تاج العروس في جواهر القاموس - القاهرة - ١٣٠٦هـ - ١٣٠٧هـ.

الزبيدي (ابو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيدي):

٦٣ - نسب قريش - تعليق إ. ليفي بروفنسال - القاهرة - ١٩٥١م - ١٩٥٣م.

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري):

٦٤ - الكشاف عن حقائق التنزيل - ط٢ - القاهرة - مطبعة بولاق - ١٣١٨هـ.

٦٥ - أساس البلاغة - القاهرة - ١٩٦٠م.

السرخسي (شمس الدين أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي):

٦٦ - شرح السير الكبير - حيدر آباد الدكن - ١٣٣٥هـ.

٦٧ - المبسوط - القاهرة - بلا تاريخ.

السيوطي (جلال الدين السيوطي):

٦٨ - الجامع الصغير من حديث البشير النذير - ط١ - القاهرة - ١٣٥٣هـ.

٦٩ - تاريخ الخلفاء - ط٤ - القاهرة - بلا تاريخ.

الطبرسي(السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسي):

٧٠ - مجمع البيان لعلوم القرآن - القاهرة - ١٩٥٨م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري):

٧١ - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة - ١٩٦٤م.

٧٢ - تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) - ط ٢ - القاهرة - ١٩٥٤م.

العجلوني (إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي):

٧٣ - كشف الخفاء ومزيل الألباس - القاهرة - ١٣٥١هـ.

العجيلي (سليمان عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل):

٧٤ - الفتوحات الالهية لتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - القاهرة - بلا تاريخ.

الغزالي (أبو حامد محمد الغزالي):

٧٥ - المستصفى من علم الأصول - تحقيق بدوي طبانة - القاهرة - ١٩٥٧م.

٧٦ - إحياء علوم الدين - بولاق القاهرة - ١٢٨٩هـ.

الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي):

٧٧ - القاموس المحيط - بولاق القاهرة - ١٣٠٦هـ.

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي):

٧٨ - الجامع لأحكام القرآن - القاهرة - ١٩٣٦م.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني):

٧٩ - آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت - ١٣٨٠ هـ.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي):

٨٠ - مآثر الأنافة في معالم الخلافة - الكويت - ١٩٦٤م.

٨١ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق ابراهيم الأبياري - القاهرة - ١٩٥٩م.

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي):

٨٢ - الأحكام السلطانية - ط٢ - القاهرة - ١٩٦٦م.

٨٣ - أدب الدنيا والدين - القاهرة - ١٩٤٠م.

مجمع اللغة العربية القاهرة:

٨٤ - المعجم الوسيط - ط٢ - القاهرة - ١٣٩٢ هـ.

المحب الطبري (محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الطبري الشهير بالمحب الطبري):

٨٥ - الرياض النضرة في مناقب العشرة - ط٢ - القاهرة - ١٩٥٣م.

محمد بن الحسن الشيباني:

٨٦ - السير الكبير - حيدر آباد الدكن(الهند) - ١٣٣٥ هـ.

محمد رشيد رضا:

٨٧ - تفسير المنار - القاهرة - ١٣٢٥ هـ.

محمد ضياء الدين الريس:

- الخراج في الدولة الإسلامية - ط ١ - ١٩٥٧م.

٨٨ - النظريات السياسية الإسلامية - ط ١ - القاهرة ١٩٥٢م.

محمد يوسف موسى:

٨٩ - نظام الحكم في الإسلام - القاهرة ١٩٦٢م.

مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري):

٩٠ - الجامع الصحيح - بولاق القاهرة - بلا تاريخ.

النسائي (الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي):

٩١ - سنن النسائي - القاهرة - ١٣١٢هـ.

النووي (أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي):

٩٢ - تهذيب الأسماء واللغات - القاهرة - بلا تاريخ.

ونسنك (أ. ي. ونسنك):

٩٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - بالمشاركة - ليدن - ١٩٥٥م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي):

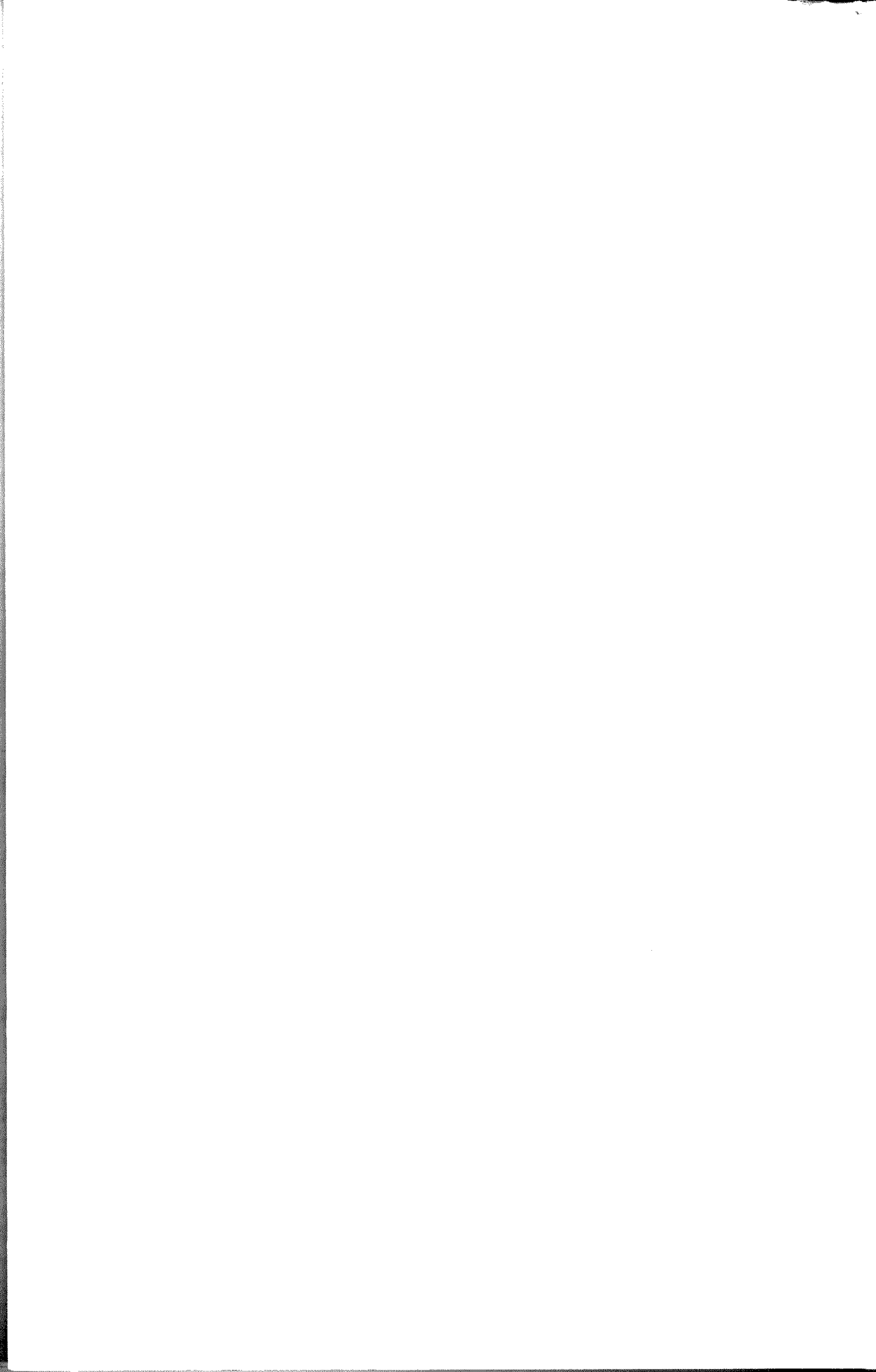
٩٤ - معجم البلدان - القاهرة - ١٣٢٣هـ.

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الشورى لغة واصطلاحاً ٥
تطبيقات الشورى العسكرية في عهد الرسالة ٧
١ - في غزوة بدر ٧
أ - في مسير الاقتراب ٧
ب - قبيل نشوب القتال ١٠
جـ - بعد المعركة ١٢
د - ما ليس في المصادر ١٤
٢ - في غزوة أُحد ١٥
٣ - في غزوة حمراء الأسد ٢٦
٤ - في غزوة الخندق ٣٠
٥ - في غزوة الحديبية ٣٤
٦ - في غزوة خيبر ٤٥
٧ - في غزوة حُنين ٤٩
٨ - في غزوة الطائف ٥٤
٩ - في غزوة تبوك ٦٤

الخاتمة ٨٣
١ - في الشورى العسكرية ٨٣
٢ - في المعاهدات النبوية ١١١
أهم المصادر والمراجع ١٣٧
فهرس المحتويات ١٤٩



دار القبلة للثقافة الإسلامية